الحديـــث النبـــوى

رؤية فنية جمالية

تأليف

الدكتور / صابر عبد الدايم

وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق

وعضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية

وأستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى، وجامعة الأزهر

الناشـــر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

ت : ٥٣٥٤٤٣٨ ـ اسكندرية

الحديث النبوى _ رؤية فنية جمالية

الحديث النبوى ... رؤية فنية جمالية
الدكتور / صابر عبد الدايم
كمبيوتر : دار الوفـــاء
الناشـــــــر : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع
العنـــــــوان :ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد
أمام بلوك ٣
الرقم البريدى : ٢١٤١١ فيكتوريا – الإسكندرية
رقم الإيــداع :٩٥٩٧ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى :8 - 83 - 5904 - 977

الإهــــــداء

الى من أوتى " جوامع الكلم "

الى (محمد) صلى الله عليه وسلم . الرحمة المهداة والسراج المنير.

فمن منابع بيانه العذب ، ومن فيوضات سيرته العطرة .

تشرق هذه المشاعر

الروح تسبح فى الأسرار صادحة   هنا الخلود لمن من أحمد اقتربـــا
فنوره من سنا الرحمن مقتبـــس   على مدى الدهر والأيام ما احتجبـا
وذكـــر مـــن جـــلال الله هيبتـــه   فى الجاه والحكم والسلطان ما رغبا
هو الفقير ويأبى أن تكـــون لـــه   جبال مكة فى دنيا الورى ذهبـــا
فنفسه من صفاء الخلـــد معدنـــها   والله أغنـــاه حيـــن أبـــى
وصار في قلبه القرآن ملحمـــة   وجدان كل ظم من نورها شربـــا
فان مشى كـــان قرآنـــا جوانبـــه   تفيض بالذكر للقلب الذى نضبـــا
وان تحـــدث فالآيـــات منطقـــه   ترد للكل حقا كـــان قـــد سـلبا
ففى تواضعه أســـرار روعتـــه   هو النبى ولكن يجمـــع الحطبـــا
وفـــى تعاطفـــه أســـرار قوتـــه   قد أخضع العجم بالقرآن والعربا
وفى تســـامحه أســـرار هيبتـــه   والحب فى الله قد أحنى له الشهبا

د. صابر عبد الدايم

مقـدمـــة

بقلم الأستاذ الدكتور / حسن محمد باجوده
عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى
وأستاذ الدراسات القرآنية البيانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فقد طلب منى الأخ الزميل الأستاذ الدكتور صابر عبـد الدايـم يونس أن أكتب مقدمة لهذه الدراسة بعنوان : " الحديث النبوى ، رؤيـة فنية جمالية " والحقيقة أن أعمال الدكتور صابر ليست بحاجة الى مـن يقدم لها لأنها بطبعها تعرف طريقها وتفرض وجودهـا ، ولله الحمـد والمنـة . وقد استجبت لطلب الزميل العزيز ، لأن كتابة هذه السطور، تحقق ، بأذن الله تعالى ، أمرين حبيبين الى نفسى . أحدهما أن أعيـش لحظات مع الحديث النبوى الشريف والرؤية الفنية الجمالية لهذا الحديث الشريف من منظور الأستاذ الدكتور صابر . وآخرهما أن أذكر بعـض الحقائق عن هذا الأستاذ الكريم المسلم الغيور الذى عملت معه العديـد من السنوات وتبينت أن من حقه على ومن حق الناس على كذلـك أن

أدون ما عرفته من كثب عن هذا الزميل العزيز . وأبدأ حديثى عن آخر الأمرين لأن الأمر الأول مبنى عليه .

أن الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور صابر قد أكرمه الله تعـــالى في مجال العلم بالكثير من النعم . إنه من الأساتذة القلائل الذين جمعوا بين الإبداع والقدرة على البحث . وقد جرت العادة بشأن أكثر أعضـــاء الهيئة التدريسية فى الجامعات أن يكونوا متخصصين فى البحث العلمى. وقليلون هم الذين جمعوا بين الإبداع والبحث . وأقل منهم أولئك الذيـــن نبغوا فى الحقلين معاً . وإن زميلنا الأستاذ الدكتور صـــابر مـــن ذلـــك القلـــيل ، بل من الفريق النادر الذى وفقه الله تعالى لمواصلة العطـــاء إبداعاً وتأليفاً . ووراء ذلك تدريساً وإشرافاً علـــى رســـائل الماجســـتير والدكتوراه ، ونشاطاً موصولاً فى العديد من المجالات . هذا إلى الخلق الحسن ، والأدب الجم ، وصفاء السريرة .

ولعلك أدركت الأسباب وراء تقديم هذا الأمر الآخر على الأمر الأول المتعلق بالحديث عن هذه الدراسة التى ليست سوى الثمرة اليانعة للنعوت التى من الله تعالى بها على الزميل الدكتور صابر والتى أومأت إلى بعضها.

إنك فى هذه الدراسة أمام الكلمة الشاعرة ، والجملة الرشيقـــة ، والعبارة المنمقة وتوظيف كل ما يخدم الرؤية الفنية الجمالية فى الحديث النبوى الشريف . مما شملته الدراسة جـــوامع كلمـــه عليـــه الصـــلاة والسلام ، بحيث إن المعانى الكثيرة تدرك بالألفاظ القليلـــة ، وخطبـــه صلـــى الله عليه وسلم ، والقصص النبوى . وإذا جاز لنـــا أن نصـــف كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بالقياس لكلام البشر ، فربما كان ألصق وصف وأصدقه أن يقال عنه : إنه السهل الممتنع . هذا إلـــى أن الحق لحمته والصدق سداه .

والحقيقة أنى أريد للقارئ الكريم أن يتبين بقراءته المباشرة لهذه الدراسة ما تبينته من فائدة ومتعة ، كما أريد له أن يدرك ما أدركته من كون الحب الصادق هو الذى يعطر هذه الدراسة بحيث إن شـذا هـذا الحب للمصطفى صلى الله عليه وسلم هو الذى يتضوع فى أثنائها من النبع حتى المصب .

وإن هذه الدراسة الجادة المخلصة للحديث النبوى الشريف من زاوية الرؤية الفنية الجمالية تحملنى على الإشادة بهذا الاتجاه الحميد فى الدراسات البيانية للنصوص . فها هو ذا الحديث النبوى الشريف ينال نصيبه الذى يستحقه من الدراسات البيانية على غرار ما نال القرآن الكريم وينال . على أن ثمة صفة جميلة تتسم بها تلك الدراسات ، ومنها هذه الدراسة التى نقدم لها ، وهى أن الرؤية الفنية الجمالية توظف لخدمة الحق الذى جاء به كل من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . وبهذا يتبين ويتأكد أن هذه الدراسات البيانية الموفقة تعنى بكل من الشكل والمضمون .

وأكتفى فى هذا التقديم بهذه الكلمات كى يستمتع القارئ ويستفيد كما فعلت ويتبين من النعوت ما إلى بعضها أو مأت . سائلاً المولى جلت قدرته أن يجزل مثوبة أخينا الأستاذ الدكتور صابر وأن يوفقه للمزيد من العطاء المثمر البناء . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

صبيحة يوم الثلاثاء ١٤١٨/٤/٩هـ

الموافق ١٩٩٧/٨/١٢م .مكة المكرمة

أ.د. حسن محمد باجودة

عميد كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

" تصدير "

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للخلق أجمعين ، وبعد ..

فان الحديث النبوى الشريف مفعم بأسرار الجلال والجمال والكمال ، وهو المصدر الثانى من مصادر التشريع الاسلامى ، فالكتاب والسنة هما منبعا حياة المؤمن ، وهما منطلق التصور الاسلامى لكل مجالات الحياة والفكر والاعتقاد قولاً وسلوكاً ودستور حياة .

وهذه الدراسة تنطلق من الإيمان بخصائص التصور الإسلامى ، وهو الثمرة الحقيقية لمقومات الشخصية الإسلامية .. وهذه المقومات تقوى من دعائمها النصوص القرآنية ، وتشد من أزرها الأحاديث النبوية الشريفة ، فمقومات الشخصية الإسلامية وخصائصها تتجلى فى القيم النابعة من الخصائص التالية :

الربانية – الثبات – التوازن – الشمولية – الإيجابية – الواقعية – التوحيد .

- والحديث النبوى الشريف ينطق بهذه الخصائص فى كل مناسبة ، والصياغة الفنية والجمالية فى البيان النبوى تعنى بشرف المعنى وجمال المبنى ، فالمعانى والالفاظ تتآزران وتتعانقان فى بيان

المصطفى (صلى الله عليه وسلم) لتقدمـــا إلـــى البشريـــة الحـــائرة المصباح الراشد والسراج الوقاد من التعاليم الوضاءة النابعـــة مـــن جلال البيان القرآنى المعجز .

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى " إن هـــو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ".

• ومشرق هذه الدراسة كان فى " البلـــد الأميـــن " أم القـــرى " مكـــة المكرمة " ، وقداسة المكان وجماله بعد توفيق الحق سبحانه وتعـــالى ــ دفعت الهمة الى التحفز والنشاط ، ليجتمع هذا الجهد فى صـــورة بحث موجز ينقب عن " الملامح الفنية فى الحديث النبوى " .

ويشأ الله أن تلقى فكرة هذا البحث فى "مؤتمر الأدب الاسلامى" بجامعة عين شمس فى عام ١٩٩٣م ثم ينشر البحث نفسه بمجلة " الأدب الاسلامى " العدد الثالث عـــام ١٩٩٤م/١٤١١هـــ .. فـــى صورتـــه المختصرة التى تعد البذرة الخصبة التى تمخضت عن هذا الكتاب .

• وتنبعث فى نفسى من جديد إشراقة الحب والفهم الجمـــالى للحديـــث النبوى .. فتضئ شمس هذا الكتاب فى كيانى ، ولا أستطيع مقاومـــة وهج الرغبة والتوق إلى إكمال صورة هذا الكيان ، وإتمام ما بدأت ، وإخراج فصول هذا المشروع إلى الوجود المقروء – بعد أن كـــان شوقاً جميلاً كامناً فى النفس .

• فإذا آتت فصول هذا الكتاب ثمرتها المرجوة – فـــإن كــاتب هــذه السطور هو أول الظماء إلى الرى ، والزاد الإيمانى ، وفى الكتـــاب والسنة الرى الكامل ، والزاد الحقيقى الذى لا ينفـــد لكــل طـــالبى المعرفة .. ولكل من ينشد الحقيقة ويؤم الصراط المستقيم .

• والرؤية الفنية الجمالية للحديث النبوى – لم تكتمـــل ملامحـــها ولا أبعادها .. ولكنها فى هذه المحاولة التى سبقتها محـــاولات مخلصـــة جادة .. وآمل أن تتلوها محاولات وإنجازات ، فـــى هــذا المجـــال الرحب الممتد الطهور .. إن هذه الرؤية الفنيـــة الجماليـــة للحديـــث النبوى تتشكل من سبعة فصول تتوالى لتقدم باقة من الجمال والفـــن الهاديين إلى جمال الحياة فى كل مناحيها اهتداء بضـــوء " الكتـــاب والسنة " .

• **والفصل الأول :**

يوضح خصوصية المفهوم الفنى فى الحديث النبوى ، ويرتاد الرحلة الإيمانية لاكتشاف منابع الجمال " المعنوى واللفظى " فـــى أحـــاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم).

• **والفصل الثانى :**

يوضح سمات الجلال والكمال والجمال فى الحديث النبوى الشريف، ويقدم ثلاث شهادات تضئ الطريق أمام الباحثين عن منابع وســمات

الجمـــال والبيان النبوى ، وهذه الشهادات فى مقدمتها شهادة " هنـــد بن أبى هالة " وهو قد حظى بشرف مشاهدة المصطفى (صلـــى الله عليه وسلم) وقد أضيئت بصيرته وأضئ بصره بملامـــح مشـــاهدة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وتلقى سمعه حلاوة الحديث النبوى الشريف ، فوصف المنطق النبوى وصفاً صادقاً مخلصـــاً متشبعـاً بعاطفة إيمانية خالصة .

• وشهادة الجاحظ المصورة لجماليات الأسلوب فى الحديـــث النبـوى تمثل رؤية حضارية تعلن عن استقلال الهوية الاسلامية ممثلة فـــى منطـق النبى (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول : " الجـــاحظ " الـذى شهد له القدامى والمحدثون بغزارة العلم ، وسعة الاطـــلاع وســداد الرأى ، وصواب المنطق وقوة الحجة ، وجمال الأسلوب ، واتســـاع الأفــق ، ويقول " وسنذكر من كلام رسول الله " صلـــى الله عليـــه وسلم " مالم يسبقه إليه عربى ولم يشاركه فيه أعجمى ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ، ومثلا سائراً .

• وتأتى شهادة (الرافعى) ورؤيته للجمال والفن فى الحديـــث النبـــوى الشريف ممثلة لقيمة الانتماء والانتساب الإيمانى والحضـــارى إلـــى مقومات الشخصية الاسلامية ، وهى شهادة عصرية تعلن عن عمق هذا الانتماء إلى الكيان الاسلامى العريق .

• وفى الفصل الثالث :

تتضح أهم الخصائص فى الحديث النبوى هى :

١.الإيجاز والشمول .

٢.الصورة الأدبية الدالة الموجبة .

٣.تشخيص الظواهر الكونية والكائنات الطبيعية

٤.الكناية والرمز

• **والفصل الرابع :**

يلقى الضوء على صيغة جديدة من فنون الحديث النبوى، وهذه الصيغة تتشكل فى " القصص النبوى وخصائصه الجماليه المصورة لواقع المجتمع " .. والقصص النبوى يصور واقع المجتمع فى صورته الإيجابية وفى جنوحه عن جادة الطريق ، ولا يترك الناس تتخبط فى التيه . ولكن يأخذ بيد البشرية إلى طريق النور ، وينأى بها عن متاهات الضلال .

• **وفى الفصل الخامس :**

يبرز فن راق من فنون " الحديث النبوى " وهو فن الخطابة ، وتأثيره قوى فى المجتمع ، والخطابة سلاح مؤثر وفعال فى نشر الدعوة الاسلامية ، وتجلية خصائصها ؛ وخطبة " حجة الوداع " هى النموذج

الأوفى للخطابة النبوية .. وهى كنز من الأساليب المضيئة بالإيمـــان ، والناطقة بأدق أسرار لغتنا العربية الفصحى – لغة " القرآن الكريم " .

• وفى الفصل السادس :

قمت بتحليل بعض الأحاديث القدسية ، لأنـــها نمـــوذج مـــن بيـــان المصطفى (صلىٰ الله عليه وسلم) ونوهت بأهم الفروق والتمـــايزات بين " الحديث النبوى والقدسى "، وبينهما وبين القرآن الكريم .

• وفى الفصل السابع :

قمت برصد عدة ظواهر وصور تمثل فى مجموعها القيمة الفكرية .. والروحية .. والعلمية للحديث النبوى الشريف .

وهذه الصور تنبئ عن إعجاز علمى فى بيان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) تتشكل من ثلاث صور ، وهى :

١. محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى كل شئ .

٢. البشارات والنبوءات بمحمد "صلى الله عليه وسلم" فى الكتب المقدسة . وفى كتب الديانات العالمية "الوضعية ".

٣. محمد " صلى الله عليه وسلم " طبيب الإنسانية .

وأحمد الحق - سبحانه وتعالى - على توفيقه لى لإتمام هذا الكتـــاب .. وأسأل الله أن ينفع به الاسلام والمسلمين ، وأن يجعلـــه فـــى مـــيزان حسناتى يوم القيامـــة .

غرة رجب ١٤١٥هـ .

الزقازيق ٤ديسمبر ١٩٩٤م.

د. صابر عبد الدايم

الفصل الأول

خصوصية المفهوم الفنى

ومنابع الجمال فى الحديث النبوى

أولاً : (أ) خصوصية المفهوم الفنى .

(ب) منابع الجمال فى الحديث النبوى

أولاً : (أ) خصوصية المفهوم الفنى فى الحديث النبوى :

تعدد الملامح الفنية فى الحديث النبوى .. وحين نرصد هذه الملامح بغية التعرف علي الأسرار التعبيرية ، والموحيات التصويرية.. والشعورية فى أسلوب الحديث النبوى الشريف ، فإن هذه المحاولة تدرك أن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – أوتى جوامع الكلم " وأنه لا ينطق عن الهوى " وأنه " علمه شديد القوى " . الأيه الكريمة من سورة النجم : " وما ينطق عن الهوى " .

فالملامح الفنية فى الحديث النبوى ليست صنعة لفظية ، وليست خيالاً تصويرياً يمليه الشعور ، ويشكله الإحساس الفردى . وإنما المعنى والمبنى يمتزجان فى الحديث النبوى الشريف ، والفكر والأسلوب يتعانقان فى هذا البيان المشرق . ليقدما للبشرية المنهج الإسلامى السديد المنبثق من هدى القرآن العظيم .

فالحديث النبوى يعد فى القمة من البلاغة العربية . وهو نموذج فريد للبيان العربى الدال المفيد .. ولا غرو فقد قال الحق سبحانه وتعالى فى مفتتح سورة النجم :

" والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هوى إلا وحى يوحى ...... سورة النجم من الأية ١-٤.

وقال تعالى فى أية آخرى : **" وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما " سورة النساء من الآية ١١٣.**

(ب) منابع الجمال فى الحديث الشريف :

" التوقيف - التوفيق - النشأة "

إن هذا العلم الذى أوحى إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل رب العالمين سبحانه وتعالى - امتزج بمكونات مادية وبأسباب دنيوية شاركت بمشيئة الله سبحانه وتمشياً مع الأخذ بالأسباب فى تكوين الطبع اللغوى الصافى لدى المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يكمن سر فصاحته عليه الصلاة والسلام وتتجلى منابع المال فى أحاديثه الدالة الراشدة الهادية إلى الصراط المستقيم .....

الذى أنعم على عباده الطائعين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ولا نعلم - كما يقول الرافعى - أن هذه الفصاحة قد كانت له إلا توفيقاً من الله وتوقيفاً ، إذا ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة فى البيان والفصاحة ، ثم هم مختلفون فى ذلك على تفاوت ما بين طبقاتهم فى اللغات ، وعلى اختلاف مواطنهم ...، فمنهم الفصيح ومنهم الجافى والمضطرب ، ومنهم ذو اللوثة والخالص فى منطقه ، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بينهم ، وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم لا يساهم فيها غيرهم من العرب فكان صلى الله عليه وسلم يعلم كل ذلك على حقه ، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها ، وتبادره بحقائقها ، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم ، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا وأسدهم لفظا وأبينهم عبارة ، ولم يعرف ذلك لغيرهم من العرب[1] وليس فى

[1] انظر تاريخ آداب العرب جـ٢ ، مصطفى صادق الرافعى ص ٢٨٣.

العرب قاطبة من جمع الله فيه هذه الصفات ، وأعطاه الخالص منـــها ، وخاصة بجملتها ، وأسس له مأخذها ، وأخلص له أسبابها كالنبى صلى الله عليه وسلم فهو اصطنعه لوحيه ، ونصبه لبيانه وخصــــه بكتابــه ، واصطفاه لرسالته وماذا عسى أن يكون وراء ذلك فـــى بـــاب الإلـــهام وجمام الطبيعة، وصفاء الحاسة ، وثقوب الذهن ، واجتمـــاع النفــس ، وقوة الفطرة ووثاقة الأمر كله بعضه إلى بعض[٢] .

وهذا التوفيق الإلهى .. كما قلت اقترن بمكونات حياتية صاحبت نشأة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان لها أثر عميق فـــى تفجــير ينابيع اللغة والبيان فى كيانه ... وفيضانها على لسانه .

فقد نشأ النبى صلى الله عليه وسلم وتقلب فى أفصـــــح القبـــائل وأخلصها منطقاً ، وأعذبها بيانا فكان مولده فى بنى هاشم ، وأخواله فى بنى زهرة ، ورضاعه فى بنى سعد بن بكر ، ومتزوجه فى بنى أســـد ومهاجرته إلى بنى عمرو ، وهم الأوس والخزرج من الأنصار .

وهذه النشأة الإنسانية الصحيحة التى صاحبت المصطفى صلـــى الله عليه وسلم فى جميع أطوار حياته صبغت أحاديثه وبيانـــه الكريـــم بصفات كريمة ودقائق نفيسة .

• وفى معرض الإشادة بأدب النبوه ، وأسرار الحديث النبوى .. يقول القاضى عياض فى كتابه " الشفى بتعريف حقوق المصطفى "

" أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل سلاســـة طبـــع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، وأوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم

(٢) السيرة النبوية فى مفهوم القاض عياض ص ٢١١ ، د/ أحمد جمال المصرى .

ألسنة العرب ، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها فى منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله ، ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه[1]. فمنابع الجمال الفنى فى الحديث النبوى تصدر عن توفيق الحق سبحانه وتعالى لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، وتنبع كذلك من توقيف ومصدر إلهى .. لأنه لا ينطق عن الهوى وفى تجليات التوقيف والتوفيق تضئ النشأة النبوية التى أراد لها الله أن تكون فى أصفى البيئات وأنقاها لغة وسلوكاً .. وقيما .. فلغة قريش أفصح اللغات وألينها، وبنو سعد بن بكر من أفصح القبائل وكانوا من العرب الضاربة حول مكة ، وكان أطفال القرشيين يتبدون فيهم وفى غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة .

- ولذا يقول صلى الله عليه وسلم .. مؤكداً هذا التصور " أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد بن بكر ".
- والمصطفى صلى الله عليه وسلم.. لم يتلق فصاحته ولا بلاغته من منبع بشرى ، إذ لم يتأثر فى بيانه الذى وصفه بجوامع الكلم .. إلا بالبيان القرآنى العظيم .

وهذه الخصوصية التى أنفرد بها " الحديث النبوى " كانت ــ وما تزال ــ وستظل مصدر تقدير وتفكير كثير من العلماء والمفكرين المسلمين منهم وغير المسلمين فها هو ذا الفيلسوف والمؤرخ والأديب الانجليزى توماس كارليل(١٧١٥ - ١٨٨١م) وهو من أبرو شخصيات

---

(1) السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض ص ٢١١ ، د/ أحمد جمال المصرى .

القرن التاسع عشر .. يشيد بنشأة المصطفى صلى الله عليـــه وســلم ، ويشيد بأميته فيقول فى دهشة وتقدير.. وإعجاب :

" وعجيب وأيم الله أمية محمد صلى الله عليه وسلم نعم أنه لـــم يعرف من العالم ، ولا من علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه ، أو يصل إلي سمعه فى ظلمات صحراء العرب ، ولم يضره ولم يزر بـــه أنه لم يعرف علوم العالم ، لا قديماً ولا حديثاً ، لأنه كان بنفسه غنياً عن كل ذلك ".

- ولوحظ عليه من فتائه أى (فتوته وشبابه) أنه كان شاباً مفكراً ، وقد سماه رفقاؤه (الأمين) ، رجل الصدق والوفاء .. الصدق فى أفعالـــه وأقواله وأفكاره ،.
- وقد لاحظوا أن ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغـــة ، وإنى لأعرف أنه كان كثير الصمت ، يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق ، فما شئت من أدب وفضل وإخلاص وحكمة ، لا يتنـــاول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته ، ويكشف ظلمته ، وأبان حجته ، واستثار دفينته ، وهكذا يكون الكلام وألا فلا "[1] .

---

[1] أنظر " محمد " صلى الله عليه وسلم " المثل الأعلى - توماس كارليل ص ٢٤-٢٥.

الفصل الثانى

جماليات الأداء الأسلوبى

فى الحديث النبوى

أولاً : الجمال والكمال والجلال فى الحديث النبوى

ثانياً : هند بن أبى هالة وتصويره لمنطق المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثالثا : الجاحظ وجماليات الأسلوب فى الحديث النبوى

رابعا : الرافعى وأسرار البلاغة النبوية.

أولاً : الجمال والكمال فى الحديث النبوى :

إن جماليات الأداء الأسلوبى فى الحديث النبوى تتعدد وجوهها.. وتتنوع طرائقها ، ولكن الأثر الباقى فى النفس الإنسانية المؤمنة برسالة الإسلام ، والتى تعمق فيها الإحساس بعظمة الشخصية المحمدية وعبقريتها .. هذا الأثر الباقى هو الإحساس بجمال المنطق، وحلاوة التعبير ، وشرف المعنى وصحته ، وسمو قصده وحكمته .

والأسلوب هو الرجل – كما يقول النقاد فى العصر الحديث ، وجمال الفطرة والخلق الذى تحلى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم.. هو منبع أسرار الجمال فى أساليبه وأحاديثه الناطقة بكل معنى عظيم وعن خصال الجمال والكمال التى تحلى بها محمد صلى الله عليه وسلم .. يقول _ القاضى عياض :

"أعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل جمال قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان :

(أ) ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا .

(ب) ومكتسب دينى ، وهو ما يحمد فاعله ، ويقرب إلى الله زلفى .

* وهذا المكتسب الدينى علي فنين أيضاً :

- منها ما يتلخص لأحد الوصفين ، ومنها ما يتمازج ويتداخل .
- فأما الضرورى " الدنيوى " المحض .. فيما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب " بل فطرة وطبعا " مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه وقوة حواسه ، وأعضائه واعتدال حركاته ، وشرف نسبه ، وعزة قومه وكرم أرضه .

وأما المكتسبه الأخروية فسائر الأخلاق العليه والآداب الشرعية من الدين والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعــدل ، والزهــد ، والتواضع ، والعفو ، والعفة ، وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهى التي جماعها " حسن الخلق " .

ثم يؤكد القاضى عياض أن هذه الخصال الجمالية الكمالية التــي ينبع منها المنطق الجميل والفعل الجميل والأسلوب الجميــــل ... كــان لنبينا صلى الله عليه وسلم شرف التحلى بها جميعا فهو الأسوة الحســنة فى الأقوال .. وفى الأفعال .. وفى الخلق والخلق .

يقول : " إذا كانت خصال الكمال والجلال - ما ذكرناه ورأينـــا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو أثنين إن أتفقت له فى كل عصـــر - إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم ، أو حلم أو شجاعة أو ســماحة ، حتى يعظم قدره ويضرب بأسمه الأمثال ، ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب أثره وعظمة "

فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصـــال ، إلـــى مالا يأخذه عد ، ولا يعبر عنه مقال ، ولا ينال بكســـب ولا حيلـــة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلـــة والمحبـــة والاصطفاء والإسراء ، والرؤية والقرب ، والدنو والوحى ، والشفاعـــة والوسيلة ، والفضيلة والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمـــود ، والــبراق والمعراج ، والبعث إلى الأحمر والأسود ، والصلاة بالأنبياء ، والشهادة بين الأنبياء والأمم ، وسيادة ولد آدم ، ولواء الحمد والبشارة والنـــذارة والمكانة عند ذى العرش ، والطاعـــة والأمانـــة والهدايـــة ، ورحمـــة العالـــمين ، واعطاء الرضى والسؤال والكوثر ، وسماع القول ، وإتمام

النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر ، وشرح الصدر ، ووضع الإصر ورفع الفكر ، وعزة النصر ، ونزول السكينة ، والتأييد بالملائكة ، وإيتاء الكتاب والحكمة ، والسبع المثانى والقرآن العظيم ، وتزكية الأمة والدعاء إلى الله ، وصلاة الله تعالى والملائكة ، والحكم بين الناس بما أراده الله ، ووضع الإصر والأغلال عنهم ، والقسم باسمه وإجابة دعوته ، وتكليم الجمادات والعجم ، وإحياء الموتى ، وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير القليل ، وانشقاق القمر ، ورد الشمس، وقلب الأعيان ، والنصر بالرعب ، والاطلاع على الغيب ، وظل الغمام وتسبيح الحصى ، وإبراء الآلام ، والعصمة من الناس ، إلى مالا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحة ذلك ، ومفضله به ، لا إله غيره إلى ما أعد له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ، ومراتب السعادة والحسنى وزيادة ، التى تقف دونها العقول ، ويحار دون إدراكها الوهم " .. إنه المصطفى صلى الله عليه وسلم لا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق ، وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة ، ومع عجب شمائله ، وبديع سيره، فضلا عما أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت ، ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة ، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه[1].

---

(1) أنظر الشفا للقاضى عياض ، و" السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض " د/ أحمد جمال المصرى . من ٢٠٥-٢١٠ .

• وهذا الجمال الشمولى النابع من شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليس جمالا نسبيا ولا رأيا ذاتيا ، ولا ميلا تعصبيا إنما هو حقيقة ساطعة باهرة .. لم تنطفئ شمسها على توالى العصور وتعاقب الأزمان .

• فبيان المصطفى صلى الله عليه وسلم مسكون بالجمال الإنسانى .

• ومنطقه نابع من إنسانيته ، ووحى اله عز وجل .. وحتى قبل أن يهبط عليه الوحى .. كان منطقه جميلا .. أمينا صادقا .. لأن الحق سبحانه يعده لتبليغ الرسالة العظمى ، وأداء الأمانة المثلى ..،

وإذا إحتكمنا إلى آراء علماء الجمال .. نجد أن فريقا منهم يرى أن الجمال هو الصفة المستقرة فى ذات الشئ .. فحقيقة الجمال مستقرة فى ذلك الشئ ومنهم " شوبنهاور" و " هيدجر " أما الفريق الآخر فيرى أن الجمال هو الشعور الذى ينبع من نفس الإنسان تجاه شئ ما..، وحينئذ تكون حقيقة الجمال مستقرة فى نظرة الإنسان من خلال ما يشعر به نحو ذلك الشئ ، ومنهم " كانت " و " كاسيرر " الفيلسوفين الألمانيين[1].

فجمال منطق المصطفى صلى الله عليه وسلم .. طبيعى مكتسب لأن الله فطره على ذلك ..، ومن وصاياه الكريمة التى تعد من أسباب النجاة من المهالك .. ومن فتن الحياة قولة صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن أسباب النجاة .

" أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك " .وقوله عليه السلام " من تكلم فليقل خيرا أو ليصمت "

---

[1] أنظر " الظاهرة الجمالية فى الإسلام " ص ٢٥صالح أحمد الشامى .

أولا : هند بن أبى هالة وتصويره لمنطق المصطفى صلى الله عليـــــه وسلم :

وأبلغ شاهد صدق على جمال المنطق النبوى .. ما قاله هند بن أبى هالة حينما سأله الحسن بن على رضى الله عنهما عن منطق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأجاب " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلـــم – متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة ، ولا يتكلـــم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير ، دمثا ليس بالجـــافى ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئا ، لم يكن يـــذم ذوقـــا ولا يمدحه ، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق حتي ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبـــها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بأبهامه اليمنى راحته اليســـرى وإذا غضـــب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه ابتسم ، ويفـــتر عن مثل حب الغمام [1].

وتفيض الأوصاف السابقة بصفات الجمال والجلال والكمـــال .. التى تحلت بها شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم .. وهى لم ترو عن بعد ..ولم يبدعها وجدان محب للمصطفى صلى الله عليه وســـلم ، وإنما هى حقائق واقعية رآها .. وعاصرها .. وشهد لها واحد من الذين كرمت أبصارهم .. وأضيئت بصائرهم بمشاهدة وجه النبى الكريم الذى كرمه الله عز وجل . فى قوله عز وجل :" وما أرســـلناك إلا رحمـــة

[1] أنظر " تاريخ أداب العرب " للرافعى ص ٢١٠-٢٩١.جـ٢.

للعالمين [1] ..، وفى قوله سبحانه مخاطبا أشرف الخلق :" وإنك لعلـــى خلق عظيم"[2].

ويروى عن أبن عباس " أن النبى صلى الله عليه وســلم كــانت روحه فورا بين يدى الله تعالى " .

قبل أن يخلق أدم بألفى عام . يسبح ذلك النور ، وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأهبطنى الله إلـــى الأرض فـــى صلـــب آدم ، وجعلنـــى فى صلب نوح ، وقذف بى فى صلب إبراهيم ، ثم لم يـــزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة ، والأرحام الطاهرة أخرجنـــى مـــن أبوى، لم يلتقيا على سفاح قط " [3].

والمناقب التي أضفاها : هند بن أبى هالة ، على رسول الله " صلى الله عليه وسلم " لا مبالغة فيها ، ولا تكلـــف ، ولا مجاملـــةولا ريـــاء ولا تخالطها عاطفة مشبوبة ، ولا عصبية مفرطة فى الهوى ، وإنما هـــى مناقب صادقة ، وليست أحوالا طارئة ولا انفعالات خاصة ، وتواصـــل الأحزان فى حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام لاينبئ عن ضعف أو عدم رضا بالقضاء والقدر ، أو اعتراض على مراد الله وعلمه ولكنـــه حزن المسئوولية الجسيمة ، الملقاة على عاتقه ، مسئولية هداية النـــاس إلى منهج الله وتبليغهم رسالة رب العالمين ، وقد أمره الحـــق ســـبحانه بتبليغ الرسالة فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم .

---

[1] سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

[2] سورة القلم الآية ٤ .

[3] الشفا فى أحوال المصطفى ، للقاضى عياض ص ٨١ نقلا عن " السيرة النبوية فى مفهوم القضى عياض " د/ أحمد جمال المصرى .

ففى سورة المائدة يجئ الأمر صريحا ، وحاسما ، وفيه صيغـــة الإنذار، فى قوله عز وجل :" يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليـــك مـــن ربـــك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من النـــاس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين " الآية ٦٧سورة المائدة ،ويخفف الرحمن الرحيم الأحزان عن نبيه ومصطفاه فينادى الحبيب المصطفى ، نـــداء حانيـــا كريما مطمئنا قلبه ووجدانه ، وموحيا إليه أن لا يترك الحزن يتراكم فى نفســـه فى سبيل الحرص على هداية الناس أجمعين ، قـــال تعـــالى : " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين " سورة القصص الآية٥٦ .

فكم يتعاظم حزن المصطفى عليه والصلاة والسلام وهو يشـــاهد مسلما يرتد عن الإسلام ، أو منافقا يبطن الكفر ويظـــهر الإســـلام ، أو فاسقا ينتهك حدود ما حرم الله .. يقول الله عز وجل مطمئنا مصطفـــاه وحبيبه :" يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنتـــه فلـــن تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فـــى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم " سورة المائدة الآية٤١.

وفى سورة الأنعام تقرأ الحزن فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة مشاهدة وواقعة انعكاســـا لمواقـــف الجـــاحدين المعـــاندين المستكبرين فيقول الله عز وجل مؤكدا واقع الحزن فى حياة المصطفى

صلى الله عليه وسلم : " قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولـــون ، فإنـــهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون " سورة الأنعام الآية ٣٣.

- ومما يضفى سمة الإيجابية علي " صفـــة الحـــزن " فـــى شخصيـــة المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه دائم الفكر ليست له راحة ، ولا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم .

وهي صـــفات تجمع بين الجمال والجلال ، لتعلن عـــن خاصية " الكمال " .. وكان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع : على الحلم، والحذر ، والتقدير ، والتفكير . وفى وصف هند لطريقة كلام الرســـول فى أحاديثه بأنه " يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامـــع الكلـــم " تفسير لجمال الأداء وروعة الجلال فى منطق الرسول عليـــه الصـــلاة والسلام .

فمدلول هذه الصفة أنه " كان يستعمل جميع فمـــه للتكلـــم ، ولا يقتصر علي تحريك الشفتين ، وذلك من قوة المنطق والصوت والمعنى، وحضور الذهن واجتماعه . وهذه الطبيعة السوية فـــى النطـــق والأداء الجميل كان مظهر فضل وتفوق عند العرب ، فقد كانت العرب تتمادح بسعة الفم وتذم بصغره ، لأنه السعة أدل على امتلاء الكـــلام وتحقيـــق الحروف وجهارة الأداء وإشباع ذلك فى الجملة ، ولأن طبيعـــة لغتـــهم ومخارج حروفها تقتضى هذا كله ، ولا تحسن فى النطق إلا بـــه . ولا تبلغ تمامها إلا أن يبلغ فيها ، وهو بعد مزيتها الظـــاهرة فـــى أفصـــح أساليبها ، وإذ كانت الفصاحة راجة إلى حسن الملاءمة بين الحـــروف

بأعتبار أصواتها ومخارجها ، حتى تستوى فى تأليفها على مذاهب الإيقاع اللغوى .

فكانت محاسن هذا الباب فى النبى صلى الله عليه وسلم طبيعة لأنها عن أسباب طبيعية .

فقد برأ الله سبحانه رسوله من عيوب المنطق الخلقية التى لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة التبليغ ، حيث برئ الأداء النبوى فى منطقه من عيوب النطق مثل التمتمة والفأفأة ، وغيره ، وبرئ أسلوبه من تنافر الحروف ، ومن التعقيد والمعاظلة ، ومن الغرابة المستكرهة، ومن الألفاظ الوعرة الوحشية فى غير قصد أو غرض .
كما برئ المصطفى صلى الله عليه وسلم من عيوب النطق التى تصدر عن مبالغة وتكلف كسبا لرضا المستمعين ، واتجلابا لثنائهم ، مثل : " التنطع ، والتمطق ، و التفيهق ، وغيرها " ....

فالتنطع فى الكلام هو رمى اللسان إلى نطع الفم أى الغار الأعلى ... مبالغة من المتكلم فى إظهار الكلام والتأثير فى المستمعين .
والتمطق : هو ضم الشفتين ورفع اللسان إلى الغار الأعلى الفم .
والتفيهق : هو الكلام من أقصى الفم .

وهذه العيوب التى تصيب حاسة النطق عند كثير من الخطباء والعلماء وعامة الناس ، وقد سلم منها حديث النبى ومنطقه . وهو عليه السلام يقول مؤكدا رفضه للتكلف فى المنطق ، والمبالغة الممقوتة فى طريقة إخراج الحروف : " أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون " ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول :" أياكم والتشادق "

فلا جرم كان منطقة عليه الصلاة والسلام على أتم ما يتفق فـــى طبيعة اللغة ويتهيأ لها إحكام الضبط وإتقان الأداء ، لفظ مشبع ، ولسان بليل ، وتجويد فخم ، ومنطق عذب ، وفصاحة متأدية ، ونظم متساوق ، وطبع يجمع ذلك كله ، مع تثبيت وتحفظ و تبين وترسل وترتيل[1].

ويقول القاضى عيـــاض .. فـــى معـــرض إشادتـــه بفصاحـــة المصطفى صلى الله عليه وسلم :" فجمع له بذلك قوة عارضة الباديـــة وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ، ورونق كلامها ، إلى التأييد الألهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشر "

قالت أم معبد فى وصفها له : " حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ، ولا هذر ، كأن منطقة خزرات نظمن " وكان جـــهر الصـــوت حســـن النغمة صلى الله عليه وسلم[2].

- ويروى عن قتادة أنه قال :

" ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت ؛ وكان نبيكـــم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه ، حسن الصوت ".

وقد صاحب المنطق وجلاله فى شخصية المصطفى صلـــى الله عليه وسلم كمال الخلقة وجمال الصورة . وحين نتأمل مدلول الجمـــال عند علماء اللغة وعند أئمة المسلمين ندرك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم تجسدت فيه كل القيم الجماليـــة ، الظـــاهرة والباطنـــة ، القوليـــة والفعلية .

---

(1) أنظر : تاريخ آداب العرب للرافعى ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض ص٢١٤ ، د . أحمد جمال المصرى .

وأنظر الشفا بتحقيق حقوق المصطفى للقاضى أبى الفضل عياض التحصبى .

قال بن سيده : الجمال : الحسن يكون فى الفعل والخلق . وقال أبن الأثير : والجمال يقع على الصـــور والمعـــانى ، ومنـــه الحديـــث الشريف : " إن الله جميل يحب الجمال " ، أى : حسن الأفعـــال كـــامل الأوصاف .

وفى كتاب " الفروق فى اللغة " يوضح أبو هـــلال العســكرى الفرق بين الحسن والجمال فيقول : " والحسن فى الأصل للصورة ، ثم استعمل فى الأفعال والأخلاق ؛ والجمال فى الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ، ثم استعمل فى الصور " .

والإمام أبو حامد الغزالى ، يضع تعريفاً للجمال فى صدد حديثه عن معنى الحسن والجمال – فيقول : " حسن كل شئ فى كماله الـــذى يليق به ". وثم يقول :" كل شئ فجماله وحسنه فى أن يحضـــر كمالـــه اللائق به الممكن له ، فإذا كان جميع كمالاته الممكنه حاضرة فهو فـــى غاية الجمال ، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقـــدر ما حضر ".

والإمام ابن القيم يوضح الأمر ، ويزيد جلاء ، ورؤيته للجمـــال تقترب من الرؤية الشمولية الكونية للجمال ، وهى رؤية تقـــترب مـــن جمال الخلق والخلق ، وجمال القـــول والفعل ، وجمال الأداء والسلوك، فى شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن القيم :

" أعلم أن الجمال ينقسم إلى قسمين : ظاهر وباطن . فالجمـــال الباطن : هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفـــه والشجاعة .

وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض ، وهى من زيادة الخلق التى قال الله تعالى فيها :" يزيد فى الخلق ما يشاء ". قالوا : هو الصوت الحسن ، والصورة الحسنه[1].

وهذا المدلول لحقيقة الجمال يتفق مع الآثار التى وردت فى الإشادة بالشمائل المحمدية ، وقد اتفق هذا المدلول مع ما روى عن قتادة الذى ورد سابقا، أنه قال : ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه ، حسن الصوت ، وكان نبيكم عليه الصلاة والسلام حسن الوجه ، حسن الصوت .

وما أصدق قول أم معبد ، وما أجمله فى وصف منطق المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه : حلو المنطق ، فصل ، لانزر ولا هزر ، كأن منطقة خرزات نظمن ".

ومما يكون الصورة العامة لجمالا النبوة وجلالها وكمالها ما ورد فى وصف هيئة الرسول عليه الصلاة والسلام ". فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً يتلألأ وجهه كوجه القمر ليلة البدر ، إذا سره شئ يمتلئ بشراً ، وأزج الحواجب أى دقيقها ، وبين الحاجبين فرق ، وفى هذا الفرق عرق يظهر إذا غضب عليه السلام من شئ ، ولرسول الله نور يعلوه هالة من الضياء وتشع من فوقه ، شديد سواد العينين ، وواسع الفم ، سهل الخدين ، أى لا يوجد فى أحد خديه علو أو بثور أو ورم ، مفلج الأسنان ، أى أن أسنانه مستوية بينهما مسافات قليلة، دقيقة ، عريض الصدر ما بين المنكبين، عنقه فى صفاء الفضة ، وفى ظهره خاتم النبوة الذى تحدثت عنه الكتب

[1] أنظر : الظاهرة الجمالية فى الإسلام ، ص ١١٤-١١٧ ، صالح أحمد الشامى .

السماوية السابقة ؛ وكان رسول الله أحسن الناس وجهاً وأعظمهم خلقاً ، إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، وإذا صافحه أحد امتلأت يد المصافح برائحة ذكية كأنها العطر ، فقد كانت رائحة رسول الله أطيب من العطر ، وكان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أزكى من العطر ، وكانت رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبقه إلى أى مكان يذهب إليه .

وكان _ كما يصفه _ هند بن أبى هالة : خافض الطرف نظره إلى الأرض ، أطول من نظره إلى السماء ، يبدأ من يلقاه بالسلام ، متواصل الحزن ، دائم الفكر ، طيب الرائحة ، لا يتكلم فى غير حاجة .

ولقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ثلاثة أمور : " الرياء ، والإكثار ، ومالا يعنيه". وترك الناس فى ثلاثة أمور :"لا يذم أحداً ، ولا يعير أحداً ، ولا يطلب عورة أو عيوب أحد ، إذا تكلم سكت جلساؤه ، وإذا سكت تكلم أصحابه كل حسب دوره ، لا حسب مكانته ، لا يقاطع أحدهم الآخر ، ولا يقاطع رسول الله عليه السلام أحدهم ، وكان صبوراً حليماً ، صبراً على الغضب ، وحلماً على الجهل ، وكان حازماً فى رد النفاق ، كان صبيح الوجه ، حسن الصوت ، عليه الصلاة والسلام [1].

وما أجمل قول المصطفى عليه السلام " أنا محمد النبى الأمى ولا نبى بعدى قالها ثلاثاً : أوتيت فواتح الكلم وخواتمه ، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش " .

---

[1] أنظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : للشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٣١.

ثالثاً : الجاحظ وجماليات الأسلوب فى الحديث النبوى :

يقف " الجاحظ " أمام الأدب النبوى وقفة الأديب العالم الخبير بأسرار الأساليب وخصائص التراكيب ، التى يتسم بها أسلوب " الحديث النبوى " .

ويعد الجاحظ أكبر كاتب ظهر فى العصر العباسى ، وهو فى الحق الثمرة الناضجة لكل الجهود العقلية الخصبة فى ذلك العصر ، ويشهد له العلماء القدامى والمحدثون بغزارة العلم ، وسعة الإطلاع ، وسداد الرأى ، وصواب المنطق ، وقوة الحجة ، وجمال الأسلوب واتساع الأفق .

يقول عنه ابن المعتز : إنه يستخدم المذهب الكلامى فى كتاباته، ويقول عنه ابن العميد :" إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً ، والأدب ثانياً ". وذلك بما يستنبط من خفيات المعانى ، وما يثيره من دقائق الفكر فى الروح والجسم والحواس والخير والشر والجوهر والعرض ، بل أيضاً من خفايا المجتمع الذى عاث ، وظواهرة وما فيه من اخلاق وغير أخلاق ، مما يتصل بطبقاته الشعبية ".

وقد تنوعت ثقافة الجاحظ ، وتعددت روافدها ، فقد أخذ عن جلة من العلماء أمثال الأصمعى ، وأبى زيد ، والأخفش ، وأبى عبيدة وهم من أصحاب اللغة والأخبار وأخذ عن أبى الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر ، وتمامة بن أشرس ، والقطام وهم من علماء المعتزلة ، وأخذ عن كبار الفقهاء والمحدثين فى مصر[1] .

---

[1] أنظر : العصر العباسى الثانى ، ص ٥٨٨ - ٥٩٢ ، د . شوقى ضيف .

وفى كتاب البيان والتبيين ، يوضح الجاحظ الخصائص الفنية والجمالية للحديث النبوى بكل مكوناته : الألفاظ والتراكيب الفنية ، وجمال النسق الأسلوبى ، وعمق المعانى ، وقوة التحدى ، وملاءمة المخاطبين ، والإيجاز والإطناب حسب مقامات الكلام وأحوالها .

يقول الجاحظ : " وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسبقه إليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ،ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملاء ومثلاً سائراً.

ويصف الجاحظ جماليات أسلوب المصطفى صلى الله عليه وسلم موضحا أهم السمات الفنية للحديث النبوى قائلا:" هو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : " وما أنا من المتكلفين "[1]. فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعقيب "[2].

واستعمل المبسوط فى موضوع البسط . والمقصور فى موضع القصر . وهجر الغريب الوحشى[3] ، ورغب فى الهجين السوقى ، فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق .

وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه ، وغشاه بالقبول ، وجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد كلام . وهو مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له

---

[1] من الآية ٨٦ من سورة ص ، والآية هى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين).

[2] التعقيب كالتقعير : وهو أن يتكلم بأقصى قعر فيه .

[3] أى الكلام الثقيل الشديد الغرابة .

كلمة ، ولازلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصــــم ، ولا أفحمه[1]خطيب بل يبذ[2] الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمـــس إسكات الخصم ، إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتـــج إلا بـــالصدق ، ولا يطلب الفلـــج[3]، إلا بـــالحق ولا يســـتعين بالخلابـــة[4]، ولا يســـتعمل المؤارية[5]، ولا يهمز ولا يلمز[6]، ولا يبطئ ولا عجـــل ، ولا يســـهب ولا يحصر[7]، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظـــاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكـــرم مطلبـــاً ، ولا أحســـن مـــوقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً[8].

وبعد أن عدد الجاحظ ، ورصد سمات البلاغـــة النبويـــة أدرك بفطرته وحاسته النقدية أن هناك من سيتهمه بالمبالغة فى هذا التحليـــل الرائـــع لجماليات الأسلوب والمعنى فى الحديث النبـــوى الشريـــف .. فدلل على ما سبق من سمات وخصائص بشواهد كثيرة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووازن بينـــها وبين نصوص شعرية ونثريـــة من كلام الشهداء والبلغاء والخطباء العرب،وأثبت بعد الموازنة بين هذه

---

[1] أنظر : البيان والتبيين ، ص ٢٧ ، تحقيق : عبد السلام هارون جـــ٢.

[2] يبذ : يغلب ويفوق .

[3] الفلج : بالفتح وبالتحريك أيضاً : الفوز والظفر .

[4] الخلابة : الخدع .

[5] المؤارية : يقال : آرب فلانا مؤارية : أى باراه وغالبه فى الدهاء ونحوه .

[6] الهمز : العيب فى الغيبة : واللمز : العيب فى الحضرة .

[7] حصر يحصر حصرا : من باب تعب : عى فى كلامه .

[8] البيان والتبيين ص ١٨ جـــ٢.

النصوص تفوق البلاغة النبوية فى كل ما يتصل بالكلام من وجوه الحسن ، مبنى ومعنى ....، يقول الجاحظ :

" قال محمد بن سلام : قا ليونس بن حبيب : " ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

ثم يتابع دفاعه عن بلاغة المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلاً :

" وقد جمعت لك فى هذا الكتاب جملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار ، ولعل بعض من يتسع فى العلم ، ولم يعرف مقادير الكلام يظن أنا قد تكلفنا له _ أى لمحمد عليه السلام _ من الامتداح والتشريف ، ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره ، كلا ، والذى جّرم التزيد على العلماء ، وقبح التكلف عند الحكماء، وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا إلا من ضل سعيه .

فمن كلامه صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال : " أما والله ما ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع" . وقال : " الناس كلهم سواء كأسنان المشط " ، و " المرء كثير بأخيه " ، " لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له " .

وقال الشاعر وهو " كثير عزة " كما جاء فى بعض الروايات :

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذى شبية منهم على ناشئ فضلا

وقال آخر :

شبابهم وشيبهم سواء فهم فى اللؤم أسنان الحمار

ويقول الجاحظ مبيناً تفوق وجمال الصور فى الحديث النبوى :

" وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبى صلى الله عليه وسلم، عرفت فصل ما بين الكلامين ".

وقال صلى الله عليه وسلم : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم ".

فتفهم رحمك الله " قلة حروفه ، وكثرة معانيه "[1].

وحين نتأمل الخصائص الأسلوبية التى استخلصها الجاحظ من تأمله فى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم نجده قد حدد سمات الكلام الفصيح (شكلاً ومضموناً) كما جاءت بعد ذلك فى مقاييس علماء البلاغة ومعاييرها البلاغية والنقدية ، فى سمات فصاحة الكلمة وجمالها من حيث ضرورة بنائها من حروف متباعدة المخارج ، وحسن تأليفها فى السمع ، ألا تكون الكلمة متوعرة وحشية ، وأن تكون غير ساقطة عامية ، وأن تكون جارية على العرف العربى الصحيح غير شاذة ، وأن لا تكون دالة على أمر يكره ذكره ويثقل على السمع وأن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف[2].

وقد نوه الجاحظ بجمال التراكيب وبناء العبارات فى الحديث النبوى الشريف ، مثل : الإشارة إلى مقاييس مراعاة أحوال السامعين ، ولكل مقام مقال . حيث يصف كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه :

_ استعمل المبسوط فى موضع البسط .

_ استعمل المقصور فى موضع القصر .

---

[1] أنظر : البيان والتبيين للجاحظ جـ٢ ص ١٥ - ١٩ . تحقيق : عبد السلام هارون .

[2] أنظر : هذه الخصائص بالتفصيل فى : " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجى دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان ، ط أولى .

فالوضوح والبيان من خصائص " العبارة " فى أحـــاديث النبـــى عليه الصلاة والسلام . وفى الحديث النبوى _ كما أشـــار الجــاحظ _ تتمثل فصاحة العبارة بما يوجد فيها من سمات الفصاحة التى حددها ابن سنان الخفاجى وهى :

- اجتناب تكرار الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام .
- حسن التأليف فى السمع بترادف الكلمات المختارة وتواترها .
- تأليف العبارة بما يجرى على العرف العربى الصحيح
- عدم فساد المعنى واعرابه بالتقديم والتأخير الذى يعقد العبارة
- حسن الاستعارة ، وعدم المغالطة فى الكلام .
- حسن الكتابة عما يجب أن يكنى عنه فى الوضع الذى لا يحسن فيه التصريح .

وقد تميز الحديث النبوى كما أشار الجاحظ بـــالتفوق الأســلوبى والإقناع العقلى والإمتاع والإشباع النفسى .

ومن سماته التى تفرد بها : إقامة الحجة على الخصوم ، وإفحام المجادلين والخطباء وفى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الشواهد المضيئة بهذه الخاصية الأدائية والدلالية ، فكلام النبى عليـــه الصــلاة والســلام : " لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ، ولا افحمه خطيب " .

ومن خصائص وسمات الجمال فى " الحديث النبوى " : أنه يتأى عن المحاجة العقلية الباطلة ، وأنه يجادل الخصم بما يعرف ، ويـــأتى إليه من جهة فهمه ، حتى يكون الإقناع أكثر تأثيراً فى النفس .

ولا يعرض المصطفى عليه السلام بالخصوم ، ولا يعيبهم في غيبتهم ، ولا يعيبهم في حضرتهم ، وهو وسط في الأداء ، " فلا يبطئ ولا يعجل "، وهو فصيح العبارة ، ولا يصيبه عليه السلام عي في كلامه .

إن السمات السابقة كلها تضفي على كلام النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أسلوبه صفة التكامل ، والصدق ، والجمال ، وقوة المواجهة ، وقوة الإقناع ، وعدم الخداع ، والابتعاد عن الحيل الكاذبة . فإنه عليه الصلاة والسلام في أحاديثه الشريفة " لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب " الفلج " أي " الفوز بالحق " ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المؤاربة ، ولا يهمز أي يعيب في الغيبة ، ولا يلمز أي لا يعيب أحد في حضرته .

ثم يختم الجاحظ تحليله لمنطق النبي _ صلى الله عليه وسلم _ وكلامه بتسع صفات استعمل فيها أسلوب التفضيل وأوجز فيها قيمة " الحديث النبوي " وعمق أثره في السلوك الإنساني ، قائلاً : " وقوله الصدق ، وهو الخبير بأسرار اللغة ومعانيها ثم لم يسمع الناس بكلام قط ".

- أعم نفعاً.
- ولا أسهل مخرجاً .
- ولا أجمل مذهباً .
- ولا أعدل وزناً.
- ولا أبين فحوى .
- ولا أحسن موقعاً.
- ولا أكرم مطلباً.
- ولا أقصد لفظاً .
- ولا أفصح معنى .

من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً .

ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده ! فقال عليه الصلاة والسلام : الحيا الحيا ، أى : المطر _ المطر ". فقالوا : يا رسول الله : " ما رأينا الذى هو أفصح منك " . قال : " وما يمنعنى من ذلك فإنما أنزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين ".

****

رابعاً : الرافعى وأسرار البلاغة النبوية :

فى هذا الفصل عرضت لرأى " هند بن أبى هالة " فى وصف منطق النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يحك أقوالاً سمعها ، ولا أخباراً رواها ، ولكنه يصف ما شاهده من أنوار النبوة ، وما ذاقة سمعه من حلاوة المنطق النبوى ، وما احتفظت به ذاكرته وبصيرته ، وما تحلى به بصره ، من مشاهدة وسماع أقوال النبى وأفعاله .

ويمثل رأى الجاحظ فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم رؤية جمالية فنية ، وشهادة حضارية ، تنبع من أديب موسعى أطلع على الحضارات المختلفة وأدرك منابع أسرار اللغة العربية ، وذاق حلاوة الأداء وجماله فى أساليب النبى صلى الله عليه وسلم .

فهى رؤية تمثل موقف الفكر النقدى والبلاغى المنصف من البلاغة النبوية ؛ فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية والعربية ، وتعد هذه الرؤية الدقيقة المنصفة حجة تقف أمام كل منكر وجاحد لقيمة البلاغة النبوية ، وعظمة الأداء الفنى ، وجمال الجرس ، وحلاوة الإيقاع ، وعمق المعنى فى " الحديث النبوى الشريف ".

وحتى تتم جوانب الصورة ، وتكتمل معالمها بكل مستوياتها : مستوى المعاصرة ، والسماع والرؤية بدون حجاب متمثلاً فى شهادة

هند بن أبى هالة . ومستوى التفوق اللغوى والحضـــارى والفكـرى ، متمثلاً فى رؤية الجاحظ وتحليله لكلام النبوة ، وأسلوب المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ثم مستوى الانتماء والانتساب الإيمانى والحضارى إلى مقومات الشخصية الإسلامية ممثلاً فى تحليل الأديب صادق الرافعـــى للبلاغـة النبوية وشرح دقائقها فتبيان طرائقها ، وعرض حقائقها.

والرافعى فى كتابه " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " ترجمـــان صادق لمنهجه الإسلامى ، ودفاعـــه عـــن تـــراث الأمـــة الإســـلامية وأصالتها، مع احتفاظه فى مقالاته وخواطـــره وبحوثـــه بوهـــج الفـــن والتشكيل اللغوى الراصد لأدق الانفعالات وأعمق المشاعر ، هذا الدفاع الحمـــيم الممزوج بالسمو الفنى المتشبـــع بالرؤيـــة الإســـلامية يضـــع الرافعى فى قمة المعانقين للرؤية الإسلامية والحضارة الإسلامية شعوراً وفكراً، وفناً ، ولأن " الرافعى " ينطلق من الإسلام فى كل مـــا يكتـــب نجده غير حذر فى لجوئه إلى العقل ، لأنه كاتب مسلم ، أعتنق الفكـــر الإسلامى مذهباً فى حياته العملية والعلمية ، لا يخشى إذا اختط لنفســـه طريق العقل ، أن تتضارب النتائج العقلية التى يتوصل إليها مع فكـــره الإسلامى لأنه يؤمن أن الإسلام والعقل متكاملان متوافقان ، وأن تقـــدم العلم وتطور الفكر البشرى لا يمكن أن يتناقضان مـــع جوهـــر الديـــن الإسلامى .

وفى أدب الرافعى لا نستطيع فصل عنصر الخيال عن عنصـــر اللغة ومن قبله عنصر الفكر ، فليست الأفكار وحدها تتوالد عنده ، بـــل الصور كذلك أيضاً ، وهى صورة رائعة نادراً ما تحققـــها الإبداعـــات

العربية قديماً وحديثاً ، إن توالد الصورة عند الرافعي يواكب توالد الفكرة ثم العبارة ليحقق هذا التواكب انسجاماً بديعاً بين المقومات الرئيسية الثلاثة لأي إبداع أدبي [1].

وفي تصوير " الرافعي " للقيمة الفنية للبلاغة النبوية يبلغ قمة الإبداع والدقة في آن معاً ، وهو يمهد لكتابه في ختام مقدمة الكتاب بقوله :

" إنه لا بد لمن ينظر في كتابنا من إطالة الفكر والتأمل ، فإن ذلك يحدث له روية وتنشئ له الروية أسباباً إلى الخواطر ، وتفتح عليه الخواطر أبواباً من النظر ، ويهديه النظر إلى الاستنباط والاستخراج ، فإن وقع دون هذه الغاية فحظه من القراء حيث يقع ، وإن بلغها فهناك مداخل الحجج ومخارجها ونصاريف الأدلة ومدارجها ، ثم الأفضاء به إلى مذاهب الحكمة على ما اشتهى ، ثم الانتهاء به حيث ترى حكيم قد انتهى "[2].

ويصف الرافعي بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاً رائعاً ينم عن إيمان عميق بالإسلام ونبيه محمد ، إذ يقول :

" هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها وحصرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة .

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقها ، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت

---

[1] أنظر : الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ، د . أحمد ساعي ، وكتابنا : الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٥٠ .

[2] تاريخ آداب العرب للرافعي جـ٢ ص ٢٥ .

من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله .. محكمة الفصول ، حتى ليس فيها عروة مفصولة _ محذوفة الفضول . حتى ليس فيها كلمة مفضولة .

وكأنما هى فى اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم ، وإنما هى فى سموها وإجادتها مظهر من خواطره _ صلى الله عليه وسلم _ [1].

فالرافعى .. فى وصفه لبلاغة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ ولأسلوبه _ أديب يعرف قيمة الكلمة المؤثرة _ وأولى دلائل هذا التأثير أن أفكار الآخرين تخضع لها _ لأنها بلغت من الجودة مبلغاً لا تسموا إليها بلاغة بشرية مهما بلغت رقياً وكمالاً . حيث ابتعد بيان المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ عن التكلف وابتعد عن الصنعة التى كثيراً ما يلجأ إليهما المفتنون بأصول البيان والمبدعون فى ساحات الكلمة .. طلباً لأرتقاء أساليبهم وأملاً فى سمو أفكارهم .. فإذا بهم إلى السفح مرتدون . لأنهم خالفوا الفطرة الخالصة .. أو ابتعدت بهم الأسباب عن ارتياد آفاقها الصافية .

جـ : الحديث النبوى شعاع من البيان القرآنى العظيم :

أما ألفاظ النبوة .. فمنبعها القلب المتصل بجلال الخالق ،.. فهى لا تصدر إلا عن صدق ويقين ، لا شوبها زيف ولا يكدرها رياء .. فهى صورة سوية لنفس صاحبها _ صلى الله عليه وسلم _ .

وحين تتجسد هذه الألفاظ فى صورة مادية .. يتفوه بها لسان المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ الذى لا ينطق عن الهوى .. نراها فى أرقا درجات الكمال .. أرقى

[1] إعجاز القرآن للرافعى ص ٥٧٩ .

فاللسان العربى المبين الذى يبلغ القرآن عن رب العالمين ، حين يتحدث للناس فى شئون دنياهم وآخرتهم لن ينفصل عن الجو القرآنى ، فهو يفصل مجملاً ، أو يوضح مشكلاً أو يخصص عاماً، أو يقيد مطلقاً.

فأما تفصيل المجمل فيتمثل فى بيانه عليــه الصــلاة والســلام لمواقيت الصلوات الخمس وعدد ركعاتهاوكيفيتها وبيانه لمناسك الحــج وغيرها من أمور العبادات والمعاملات فى الإســلام ، ويقــول عليــه السلام :" خذوا عنى مناسككم " ، ويقول :" صلوا كما رأيتمونى أصلى".

وأما توضيح المشكل فيتمثل فى تفسيره _ صلى الله عليه وسلم للخيط الأبيض والأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل .. وغير ذلك من الأمور المبهمة التي يوضحها البيان النبوى.

وأما تخصيص العام فيتمثل فى تخصيصه _ صلــى الله عليــه وسلم _ لبعض الألفاظ التى احتار الصحابة فى مدلولها مثــل كلمــة " الظلم " فى قوله سبحانه :" الذين آمنوا ولــم يلبســوا إيمانــهم بظلــم " وفسرها الرسول عليه السلام بالشرك حيث قال بعض الصحابة وأينا لم يظلم نفسه ، فقال النبى عليه السلام ليست بذلك : " إنما هو الشرك " .

وأما تقييد المطلق فيتمثل فى تقييده صلى الله عليه وسلم اليد فى قوله تعالى :" فأقطعوا أيديهما " باليمين ، فقد حدد الرسول عليه السلام اليد التى يجب قطعها وهى اليد اليمنى .

فالبلاغة النبوية من الوحى ولكنها جاءت من ســبيله ، وإن لــم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله .

الفصل الثالث

من الخصائص الفنية
فى الحديث النبوى

أولاً : الإيجاز والشمول :

الإيجاز ، والاختصار ، وحذف فضول الكلام يعد من شـــروط الفصاحة والبلاغة لأنه يعبر عن المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة .

وهذا الباب _ كما يقول ابن سنان الخفاجى _ **من أشهر دلائـــل** الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس .

وقد قسم العلماء دلالة الألفاظ على المعانى ثلاثة أقسام :

أحدهما : المساواة هو أن يكون المعنى مساوياً للفظ .

الثانى : التزييل وهو أن يكون اللفظ زائد على المعنى وفاضلاً عنه.

الثالث : الإشارة ، وهو أن يكون المعنى زائد على اللفظ ، أى أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة[1].

- وأسلوب النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى أحاديثه الشريفة يجمـــع بين خاصتى : المساواة ، والإشارة ، وليست فيه ألفاظ زائدة علـــى المعنى .. لأن الزيادة اللفظية تعد عيباً من عيوب فصاحـــة اللســـان العربى . وخاصية الإيجاز فى كلام المصطفى _ صلـــى الله عليـــه وسلم_ تعد صدى مضيئاً ، وترجماناً قولياً صادقاً لقوله _ صلى الله عليه وسلم_ " أوتيت جوامع الكلم " .

ويذهب ابن سنان الخفاجى إلى تفضيل **الإيجـــاز والمســـاواة ، ويرفض " التذييل " قائلاً :" والذى عندى فى هذا ما ذكرته ، وهـــو أن المختار فى الفصاحة والدال على البلاغة هو أن يكون المعنى مســـاوياً للفظ أو زائداً عليه ، وأعنى بقولى " زائد عليه " أن يكون اللفظ القليـــل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة ، لا أن تكـــون الألفـــاظ**

---

[1] سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص ٢٠٧

لفرط إيجازها قد ألبست المعنى وأغمضته ، حتى يحتاج فى استنباطها إلى طرف من التأمل ودقيق الفكر .

وقد ألمح إلى هذه الخاصية الجمالية فى " الحديث النبوى " هند بن أبى هالة حينما سأله الحسن عن منطق رسول الله فقال فى معرض وصفه للمنطق النبوى : " ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير ".

وأشاد " الجاحظ " كذلك بخاصية " الإيجاز " ونوه بجمالها فى معرض أشادته بكلام النبى _ صلى الله عليه وسلم _ حيث وصف كلام النبى عليه السلام بأنه " الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ويبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ".

والرافعى ، ينوه بقيمة الإيجاز فى " الحديث النبوى " قائلاً :" إن نسق البلاغة النبوية يمتاز فى جملته بأنه ليس من شئ إن تواجد فى كلام الفصحاء وهو معدود من ضروب الفصاحة ومتعلقاتها ، إلا وجدته فى هذا النسق على مقدار من الاعتبار يفرده بالميزة ويخصه بالفضيلة لأن كلامه _ صلى الله عليه وسلم _ فى باب التمكين لا يعد له شئ من كلام الفصحاء فلا تلمح فى جهة من جهاته ثلمة يقتحم عليه الرأى منها ، وتتساب فيها الكلمات التى هى من لغة النقد والتزييف أو بعض هذه الكلمات ، أو أضعف ما يكون من بعضها ، إذا هو مبنى على ثلاثة : " الخلوص ، والقصد ، والاستيفاء ".

فأما القصد والإيجاز ، والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى فى ألفاظه ، ومن طبيعة الألفاظ ومعانيها .، ومن طبيعة النفس وحظها

من الكلام وجهتيه : اللفظية ، والمعنوية ، فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية ، وحتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركة النفس وكأن الجملة تخلق فى منطقة خلقاً سويا ، أو هى تنزع من نفسه انتزاعاً ، وهـذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه امرؤ حظه من التأمل إلا عطاء حظ نفسه من العجب[1].

*** صورة من الإيجاز فى الحديث النبوى :**

ومن جوامع كلمه _ صلى الله عليه وسلم _ قوله عن أبى سلمة عن أبى هريرة.: " إن لله تسعاً وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة "[2].

والثراء اللغوى الذى يفتح المجال أمام الكثير من معنى يكمن فى كلمة " أحصاها " فالإحصاء فى اللغة على ثلاثة أوجه :

أحدهما :

الإحصاء الذى هو بمعنى العد ، كقوله تعالى : (وأحصى كل شئ عددا) .

والثانى :

بمعنى " الطاقة " كقوله سبحانه وتعالى : (علم أن لن تحصوه) أى : لن تطيقوه .

والثالث :

بمعنى العقل والمعرفة : يقول ابن عباس رضى الله عنه : " أحصيت كل القرآن إلا حرفين يريد أدركت علمه وعقلت معناه "

---

(1) أنظر : تاريخ آداب العرب للرافعى جـ٢ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(2) أخرجه مسلم فى الذكر والدعاء ٣٠٦٣/٤ والترمذى فى الدعوات ٥٣٠/٥ وغيرهما .

ويقال : " فلان ذو حصاء : إذا كان ذا عقل وتحصيل ".

قال الشاعر :

وأن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لـدليل[1]

قال أبو سليمان : " فمن حمل الخير على معنى الإحصاء الـذى هو العد " قال : " إن معناه أن من يعد هذه الأسماء ذاكرا الله عز وجل ومثنياً عليه بها ، واستدل فى ذلك بأن التسعة والتسعين لما كانت عـددا من الأعداد ثم عطف بالإحصاء عليها علم أن المراد به إحصاء العـدد دون غيره .

ومن حمله على الإطاقة قال :

معناه أن يطيق القيام بحقها فى معاملة الله تعالى بها . ومطالبة النفس بمواجبها فيخطر بقلبه معنى العفو والمغفـرة إذا سـماه عفـواً وغفورا فيرجو مغفرة الله وعفوه ، ويحذر نفته إذا قال المنتقم . ويثـق بما وعد من الرزق ، وتطمئن به نفسه إلى ما ضمنـه منـه إذا قـال "الرزاق" وإذا قال "رقيب" راقب ربه وعلم أنه مطلع على سره إلى مـا يشبه ذلك من الأمور التى تقتضيها معانى هذه الأسماء .

- وأما من تأويله على الإحصاء الذى هو العقل والمعرفة قال :

معناه : من عرفها وعقل معانيها وآمن بها استحق دخول الجنة.

وهذه الاقوال الثلاثة كلها متوجهة غير بعيدة والله أعلم[2].

---

[1] قيل : هذا البيت لطرفة وقيل لكعب بن سعد الغنوى .

[2] غريب الحديث جـ١ص ٧٣٠ للأمام ابن سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى البستى تحقيق د/ عبد الكريم الغرباوى ط مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى .

• ومن جوامع كلمه _ صلى الله عليه وسلم _ أنه قال : " رواية عن أبى هريرة : " إذا ثوب بالصلاة فأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا "[1].

قوله : " ثوب بالصلاة أى دعى إليها، والأصل فى التثويب أن الرجل إذا جاء فزعاً أو مستصرخاً لوح بثوبه .. وكأن ذلك كالدعاء والإنذار ثم كثر ذلك حتى سمى الدعاء تثويباً . قال الشاعر :

يأوى ألى ساحته المثوب

وقال ذو الرمة " وإن ثوب الداعى لها بال خندف

فيا لك من داع معز ومكرم

والعامة لا تعرف التثويب فى الأذان إلا قول المؤذن فى أذان الفجر "الصلاة خير من النوم " ، قال :" وإنما سمى هذا القول تثويباً لأن المؤذن يرجع إليه مرة بعد أخرى .

يقال : ثابت إلى المريض نفسه إذا رجعت إليه قوته وثاب إلى المرء عقله ، ومنه اشتق الثواب ، وتأويله ما يثوب إليه من فضل الله فى جزاء الأعمال الصالحة . وبه سميت المرأة " ثيباً " وذلك لأنها تثوب إلى أهلها من بيت زوجها .

• ومن الأحاديث التى صيغت فى قالب موجز . وسر إيجازه يرجع إلى دلالة اللغة واشتقاقها وبنية الكلمة ، وفهم الصحابة لمدلول الحديث وفق مفهومهم اللغوى ، واتكاء على الرؤى الجمالية والأعراف السائدة .

---

[1] أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ٤٢١/١ .

وذلك يتضح فى قول رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور". وفى رواية أخرى "المتشبع بما لم يملك كلابس ثوبى زور".

ومصدر الإشكال فى هذا الحديث وسر الإيجاز فيه أنه قد أشكل على أكثر الناس "تثنية الثوب".

ومعنى الحديث : أن المتشبع على معنيين :

أحدهما : المتكلف إسرافً فى الأكل وزيادة على الشبع حتى يمتلئ ويتضلع .

والثانى : المتشبع بما ليس به ، وبهذا المعنى الثانى استعير للمتحلى بفضيلة لم ترزق له وليس من أهلها ، وشبه بلابس ثوبى زور : أى ذى زور ، وهو الذى يزور على الناس بأن يتزيا بزى أهل الزهد ويلبس لباس دوى التقشف رياء .

ويقول الحافظ أبو موسى محمد بن أبى بكر بن أبى عيسي المدينى الأصفهانى :

وإنما ثنى الثوب فيما نرى ، لأن العرب اكثر ماكانت تلبس عند الجدة إزاراً ورداء ، ولهذا حين سئل رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ عن الصلاة فى الثوب الواحد قال :" أوكلكم يجد ثوبين".

وفسره عمر _ رضى الله عنه _ بإزار ورداء ، أزار وقميص ، رداء وتبان فى أشياء ذكرها فى كتاب البخارى .

ولا يريد بذلك الثوبين يلبس أحدهما فوق الآخر ، كما جرت عادة العجم بها ، وفى الحديث :" رب ذى طمرين".

وفى ضوء الأعراف والتقاليد الاجتماعية يفسر الإمام الحافظ أبو موسى محمد بن أبى بكر المدينى الأصفهانى فى دلالة الحديث وما فيه من صورة فنية مستمدة من مواصفات البيئة العربية وعاداتها : فيروى أن العرب إذا اجتمعت فى المحافل كانت لهم جماعة يلبس أحدهم ثوبين حسنين فإن احتاجوا إلى شهادة شهد لهم بزور : ومعناه : أن يقـــول : أمضى زوره بثوبيه . ومعناه أن يقول : أمضى زوره بثوبين .

يقولون : ما أحسن ثيابه ! ما أحسن هيئته ! فيحيزون شهادته : فجعل المتشبع بما لم يمط مثل ذلك .

- وقيل فى تقريب الصورة الفنية : والدلالة الاجتماعيــة مــن فكــرة الحديث ومقصده : أنه الرجل يجعل لقميصه كمين : أحدهما فـــوق الآخر ليرى أنه لابس قميصين ، وها هنا يكون أحد الثوبين زوراً ، لا يكون ثوبى زور .
- وقيل اشتقاق الثوب من قولهم : ثاب : إذا رجع . لأن الغزل ثـــاب ثوباً : أى عاد وصار ، ويعبر بالثوب عن نفس الإنسان ، وعن قلبه أيضاً. وفى الحديث : يقول رسول الله _ صلى الله عليه وســـلم _ : "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله تعالى ثوب مذلة "[1] .

والدلالة المجازية للفظ الثوب .. حيث يراد به نفس الإنســـان ، وقلبه أيضاً ، تجعل فكرة الحديث تمتد وتتسع مراميها لتصور النفـــس الإنسانية ، والقلب المنوط به صلاح الجسد أو فساده ، فالإنسان الـــذى يدوم إشباع نفسه وإرضاء رغباته وطموحاته بمـــا لا يملـــك أو علـــى

---

[1] أنظر : المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث ص ٢٨١ للإمام الحافظ أبى موسى بن أبى بكر بن أبى عيسى المدينى الأصفهانى ، تحقيق عبد الكريم الغرباوى .

حساب غيره ، كما نقول فى عصرنا الراهن : هذا الإنســـان مريــض النفس ، ومريض القلب ، وكأنه حين ارتكب هذا الســـلوك المشيــن ، وذلك المنكر من التوجيهات .

- وبينما نجد الصورة الأدبية فى الحديث النبوى واضحة دالة هادفـــة موحية نجدها فى التصوير النقدى القائم على المنظور النفسى تعنى : إعادة إنتاج عقلية أى ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكيـــة عـــابرة ، ليست بالضرورة بصرية .
- والصورة أيضاً كما يعرفها:" أزرابا وند" تلك التى تقدم عقدة فكريـــة وعاطفة فى برهة من الزمن ، وهى : توحيد لأفكار متفاوتة .
- فالصورة فى " الحديث النبوى " بمنأى عن العقد الفكرية والعاطفيـــة التى يصاب بها المبدعون ، من الشعراء والكتاب .
- وهى كذلك بمنأى عن التصورات المذهبية لها الناشئة من قيم بشرية محدودة مسورة بحدود الزمان والمكان والبيئة .

فالصورة الأدبية فى رؤى النقاد المحدثين تختلف تبعاً لاختلاف المذهب الأدبى ، واختلاف تصور معنى الخيال ومفهوم الرمز ، فعنـــد أصحاب المذهب "البرناسي" تكون الصورة تجسيمية بلاستيكية ، ويكون الوصف موضوعياً، نصيبه من الانفعال والعاطفة الجياشة ضئيل.

والصورة المهموسة المشوبة بالغموض هى منـــهج الرمزييـــن الذين يعطون الأهمية الأولى للظلال لا للألوان ، والصورة الأدبية ذات الدلالة النفسية تمثل منهج السرياليين[1].

---

[1] أنظر : النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، وأنظر : كتابنا : التجربة الابداعية فى ضوء النقد الحديث .

- فالتصوير الأدبى فى " البيان النبوى" يجمع بين الجمال والجـــلال ، وبين المهابة والحلاوة ، وبين الإقناع والإمتاع ، يغــذى العقــول ، ويمتع الأسماع.
- وهذا المفهوم للصورة فى الحديث النبوى ، يلتقى مع النماذج العليــا فى : الإبداع الأدبى الإنسانى ، فى كثير من جوانبه ولكن يبقى تفرد الحديث النبوى بخصوصية العمــوم والشمــول وتمــيزة بالعاطفــة الإنسانية المتزنة الثابتة التي تقدم فى إطار صورة أدبية دالة موحية، موشاة بالفاظ رائقة ومعان فائقة ، وآفاق شائقة.
- ومن معالم الكمال فى الصورة _ كما يقرر القاضى الجرجانى _ أن تكون مهمة اللفظ فيها ليست للكشف عن المعنى فحسب ، بل لا بــد أن يصبر حلوا رشيقاً ، أحظى فى القلب وأوقع فى النفس ، ولا يرى اللفظ إلا ما أدى أليه المعنى ، ولكنه أحلى وارشق وأحظى وأوقع ، والكلام فيها لا يصور الغرض فقط ولكنه ينبغى أن يكون ذا واقــع قوى يشنف الآذان ، ويستولى على القلوب ، كما تشد مناظر الطبيعة الفاتنة أليها النواظر فلا ترى غير الجمال فيــها ، يقــول القــاضى الجرجانى :

" ولا الكلام إلا ما صور له الغرض ، إنما الكلام أصوات محلها مــن الأسماع محل النواظر من الأبصار"[1].

- ومن النماذج : التصوير الأدبى فى الحديث النبوى .. هذه المشــاهد التصويرية التى تصور واقع الحياة فى ضوء خصــائص التصــور الإسلامى ، ويجب أن نتأمل هذه المشاهد ونطيــل النظــر فيــها ؛

---

(1) أنظر الوساطة للقاضى الجرجانى ، والصورة الأدبية : د . على على صبح ص ٤١ .

ونستجلى معالمها ..و" هكذا يجب تأمل الجمال الفنى فى كلامه _ صلى الله عليه وسلم _ كلما زدته فكرا زادك معنى ، وتفسيره قريب كالروح فى جسمها البشرى ، ولكنه كالروح فى سرها الإلهى فهو معك على قدر ما أنت معه : إن وقفت على حد وقف ، وإن مددت مد ، وما أديت به تأدى"[1].

• والصورة البيانية فى الحديث النبوى .. حين نطيل التأمل فى استكشاف معالم الجمال والجلال فيها ندرك أنها " تلج بالمعنى إلى شعاب النفس فتزيده وضوحا فى الخاطر ، وجلاء فى الذهن ، لتستحيل أفكاره الهادية دما خالصا يترقرق فى عروق المسلم ، ونورا يمتد فى عقله وبصره ، ونفسا يتردد فى رئتيه ، وذلك بعض ما يفيض به البيان الساحر والأدب الرفيع"[2].

ومن ذلك ما روى عن أبى هريرة _ رضى الله عنه _ قال : "قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : "إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً .. فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار تقع فيها، وجعل ينزعنه ويغلبنه فيقتحمن فيها ؛ فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها".

"إنما نتخيل هذه الصورة المكتملة الجوانب ، ونتمثلها أمامنا نابعة المشاهد أفعالا وحركات سريعة متلاحقة ، وصراعا ومغالبة بين الهوى والهدى وحرارة ولهيباً ، وأشعة وظلمة ، ونتمثل ما وراءالمحس من نوازع متقابلة يدفع بعضها إلى الخير المنجئ ، والآخر إلى الشر

[1] أنظر : وحى القلم لمصطفى صادق الرافعى ، والبيان والنبوى : د . محمد رجب البيومى ص ٢٥٣ .
[2] البيان النبوى : د . محمد رجب البيومى ص ٢٤١ .

المردى فينتقل إحساسنا إلى حالنا وحال النبى فنرى أنفسنا فى صــــراع الهوى الغالب للهدى الرحيم ، ذلك الفراش الأحمق الذى يضحى بالحياة فى اندفاع قاهر ، ثمنا غاليا للامح براق ، فإذا اجتذبه مـــن بـــالمؤمنين رؤف رحيم إليه (حفظا على) حياته ، غلبه الهوى على نفســـه فـــاقتحم المهالك.

وهنا نحاول أن نفهم هـــذه المفارقـــات ، وأن نقيـــس حركاتنـــا وأنفاسنا مع هذا الساهر الحريص ، فنرى كل كبيرة ناراً تغرينا بالبريق يصرعنا فيها الهوى ويجذبنا منها المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ يأخذ بحجزنا مكرراً الزجر ، مقرراً الحرمة مؤكداً النداء "ما أشقانا وما أتعسنا حين نغلبه فنقتحم النار".

وقد عمقت الصورة هنا وسائل أسلوبية كثيرة تنبئ عن فصاحة المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _فهنا كرر المثل مضافا الى نفســـه الكريمة مرة فى ياء المتكلم "مثلى" والى أمته أخـــرى فـــى " ضمـــير الخطاب لأن الصورة تعرض حالين مختلفين حال حكيم رؤف وحال أحمق جامـــح فليست حالة عليه السلام حال أمته إذا استهواها الشيطان فغلبها، ولهذا كان الكلام على اللف والنشر المرتب والذى يلقب فيـــه التشبيـــه بالملفوف ، وقد حصل الاكتفاء بالتكرار عن التفصيل فى الآخر .

وليس لفظ "مثل" فى البيان الكريم أداة التشبية ، إذا هو بمعنـــى الحال والصفة ، وإنما الأداة الكاف . والجمع بينهما وبين مثل للدلالـــة على تشبيه الهيئات والأحوال تمثيلاً ، إذ لو دخلت الكاف على "رجـــل" لتوهم بادئ الرأى مشبها به أفرادا .

وارتباط جواب "لما" بشرطها يشير إلى ارتباط السبب بالسبب في الوجود ووصف الدواب المشار إليها للتحقير وارتباط إشارة القريب الدانى المنزلة بالموصول؟ وصلته تدل على العادة والطبع الغالبين اللذين هما بحاجة كبيرة إلى التهذيب والمقاومة والكبح ، وتكرار العبارة "تقع فى النار" يجعلها جواباً لفعل الشروع "تقع فيها" يشير إلى الاستسلام وعدم التدبر لما هو معتاد والنظر إلى ما يجرى من الردى .

وقد اقتضى شروع الدواب فى الوقوع شروع المستوقد وترادفت الأفعال مضارعة للدلالة على تجديد الفعل ومعاودة الصراع من جانب. ولاستحضار هذه الصورة فى أذهان المخاطبين من آخر كأنها الآن تحدث حتى يزيدوا بها استيقاناً ، وبمدلولها معرفة ، أما العبارة الأخيرة التى تصرح بوجه المماثلة من جهة الرسول وأمته " فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها" ففيها جملتان اسميتان متقابلتان تدلان على الثبوت من جهة المضارعة فيها ، وهذا يدل على ثبوت الصراع وتجدده زيادة حرص ورحمة من جانبه عليه السلام . وضعف وانصياع للهوى من جانب المخالفين[1].

ومما يزيد الصورة هنا تأثيراً مجيئها فى أسلوب "القصر" حيث جاءت "إنما" فى أول الحديث الشريف ، لتصبح الصورة واقعية .. ويظل الصراع دائراً . بين حرص المصطفى _ عليه السلام _ على نجاة أمته وبين تغلب الهوى على كثير من أفراد هذه الأمة حتى يصل بهم هذا الهوى إلى النار التى يتقلبون فيها فى حياتهم وأخرتهم ...،

[1] أنظر "الحديث النبوى من الجهة البلاغية ص ١٥٦ – ١٥٨ ، د / عز الدين على السيد ، دار الطباعة المحمدية بالازهر بالقاهرة . رقم الإيداع : ٢٩٣٤ -١٩٧٣ .

وعطف الجمل هنا بالفاء .. يوحى بترتب الأحداث ، ومجئ الحديث فى أسلوب القصة المتعاقبة أحداثها المركزة المكثفة ، فهنا قســـه الأجيــال كلها_ وهنا تشخيص لأدواء النفوس_ وتصويـــر لرحمـــة المصطفـــى _صلى الله عليه وسلم_ وحرصه على مداواة هذه الأنفس المرضى .

والتعبير بالفعل "يقتحمن" يدل على الإصرار من الجانب الآخـــر على الوقوع فى حمأة الباطل..، وقول المصطفى _عليه السلام _ "وأنا آخذ بحجزكم" يصور مشهدا من مشاهد الصراع الدائـــم .. فالضـــالون يكثرون . وبرغم إصرارهم على ما هم فيه . يحرص الرســـول علـــى صدهم عن الوقوع فى ظلمات الإثم .. والتردى فى أودية النيران .

*** وصدق الحق سبحانه وتعالى إذ يقول :**

" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتـــم حريـــص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هـــو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ".

وتمتد هذه الصورة عبر الأزمنة والأمكنة .. وتسرى فى ضمير الأجيال.. ويظل البيان النبوى يأخذ بحجز الجماعات التى يتملكها الهوى . ويغلبها الشيطان .. فإذا بها تلمح ضوء النجاة يـــبرق فـــى كلمـــات المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ وفى ما جاء من الآيـــات البينـــات وحيا عن ربه عز وجل وصدق عليه الصلاة والسلام وهو يرشد الأمة فى كل زمان وفى كل مكان . إلى ميراثهم الحقيقى .. وهو " الكتـــاب والسنة " .. ففيهما العصمة من الزيغ والضلال .. "أنى تركت فيكم مـــا إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا .. كتاب الله .. وســـنتى .. وســـنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ....."

ومن نماذج التصوير الفنى فى ثوب "الاستعارة " فى أسلوب المجاز :

والمجاز بالاستعارة هو " استعمال اللفظ " فى غير ما وضع لــه لعلاقة المشابهة مع القرينة المانعة .ومن ذلك قــــول عليــه الصـــلاة والسلام : " من بايع غماماً فأعطاه منفقة يده ، وثمرة قلبـــه ، ونخيلــة صدره ، فليطعه ما استطاع فقوله عليه الصلاة والسلام : "وثمرة قلبه " استعارة مكنية . لأن المراد بها خالصة صدره ، وشهيدان .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_ " إن أحداً جبل يحبنا ونحبه ".

فما مصدر هذا الحب ... وهل يحب الجبل لذاته .. وما أمـــارات هــذا الحب ؟...

إن الجبل من الظواهر الجامدة ؛ وفى الأساليب العربية كثيراً ما يخاطب البلغاء هذه الظواهر .. ويشخصونها وكأنها كائنات حية تبادلنا الود .. وتصغى لنجوانا، ونبثها همومنا وشكاوانا

ومثل هذا كثير فى الشعر ، والنثر ، وهو دليل علـــى الصحـــة النفسية والتذوق الجمالى ، وبرهــــان علـــى الوفـــاء الغـــامر لجميـــع المخلوقات.

والمدينة : أهلها ورباعها ودروبها وشعابها وجبالها ورباهـــــا . آوت الرسول ونصرته ، وأعز الله بها الدين وحمى الرســـالة وحصـــن الدعوة . فكل ذلك منها حبيب إليه عليه السلام و" أحد " جبل والجبـــال أول ما يطالع القادم ، وهى البواكير لرؤية عين القاصد ، ويتنزل عندها الشوق ، ويستهدف وجهها الحنين ، فتظل وإن نأى عنها أول ما أطفـــأ الوجد ويشير بالوصول . فإذا أحب الرسول أحد لهذه المعانى الإنسانية

أو لأسرار سواها غيبة فلا عجب لهذا الحب " وإذا أضفى على " أحد " ما زاد من حبه له ، وإحساسه به حتى رآه مشاركاً له فيه .متجاوباً بـــه معه فلا غرابة فى هذه الرؤية . ولا كذب فى هذه العبارة ، لأنها لغـــة الحب ، وبيان العاطفة ، الذى لا يغنى غناءه تعبير الواضع للفظ لنقصه فى الدلالة .

فإذا تصور الرسول الأمن والسلام فى جوار الجبـــل إيناســاً ، والاستبشار برؤيته بشاشة منه وحباً، فصوره صـــورة مــن يحــب ، وشخصه شخص من يفى ، فذلك آية التذوق وسلامة الوجدان ،وصحة العاطفة . فيما يعود بالخير على الدين ، ويزيد الناس حباً للمدينة ووفاء للأنصار . لأن حب الدار من حب الجار . ذلك الذى فاض منه الحـــب لرسول الله _ صلى الله عليه وسلم _على ا لجماد فأحبه .

هذا التقرير المؤكد لحب الأنصار رســـولهم وحــب الرســول أنصاره الذين لهم أحب المدينة وأحب كل شئ فيها ، وأنسى لجبلها أنس الحبيب بالحبيب يقول عنه علماء البيان إنه مجاز بالاستعارة التى شبـــه فيها الجبل بالمحب بدلالة إثبات الفعل به إسناده إليه ، وهذا الإسناد هو الذى يسبح بالخيال تلك المسابح ، ويذهب به يستبطن ما وراء العبـــارة لأنه يلفظ بلفظ موح بعيد الغور .

مثل هذا الصنيع عن البيانيين ينحل إلى " استعارتين " أولاهمـــا المكنية لأنها دلالة فعل الحب المسند إلى الجهل فى العبارة على الإنسان المحب دلالة اللازم على الملزوم ، ومسوغ هذا الإسناد مشابهة الجبـــل للمحب المحذوف مبالغة فى اتصافه بصفته حتى لم يفترق عنه .

ويسمون ثانيتهما " التخيلية " وهى إثبات فعل المحب المشبه بـــه للجبل المشبه " لأنها تخيل للسامع إنسانية الجبل وحبه ، وتكسبه مـــالا يمكن أن يكون له على سبيل التحقيق "[1].

رابعاً : الكناية والرمز :

والكناية من أبدع المسالك البيانية . والطرق الأسلوبية التى يعبر بها المنشئ عن المعنى ، تعبيراً مظلاً هادفاً موجزاً يخفى تحت ظلالـــه لطائف مراده ، وقد عرفوها بقولهم " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه ".

والرسول _ صلى الله عليه وسلم _ يضرب المثل الكريم السخى فى استعمال هذا المسلك الأسلوبى للدلالة المعانى دلالة ألطـــف وآكــد وأوجز من دلالة الحقيقة المحضة .

ومن الأحاديث التى صبغت فى أسلوب الكناية ما روى عن أبى هريرة وأبن عمرو رضى الله عنهم قالا : قال رسول الله _ صلـــى الله عليه وسلم _ " يكون فى أخر الزمان رجال يختلون الدينا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب .

يقول الله تعالى : " أبى تغترون أم على تجترؤون ؟ فبى حلفت لابعثن على أولئك فتنة تذر الحليم فيهم حيران "[2].

أولئك هم المراءون الذين يبطنون مالا يظهرون . فيكـــون فـــى ظاهرهم الرحمة وفى باطنهم العذاب ، ويسمع النـــاس منـــهم كلامـــاً

---

(1) أنظر الحديث النبوى من الوجهة البلاغة ، د/ عز الدين السيد ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(2) تيسير الوصول جــ٢ ، وأنظر : الحديث النبوى من الوجهة البلاغية .

معسولاً يخدعهم . يجعلونه كحبالة الصياد تفرش للحب ، ولفظ الختل يدل على خداعهم ، وهو واقع على الدنيا والدين فى مكان أداته .

ومعنى ذلك أنهم جعلوا الدنيا بأهلها صيداً ، وجعلوا الدين أداة يخدعون بها الصيد . لأنهم يقولون فى اللغة ختل الذئب الصيد : تخفى له فهو خاتل .

فعبارة الحديث " يختلون الدنيا بالدين " كناية عن فقد قلوبهم ما أجادوا التظاهر به ، والمعنى الظاهر يؤكد هذا المعنى مرة أخرى وبصورة أخرى هى أقرب من التقرير لارتباطها بالحس .

أرأيت إلى قطيع الشاه يسرح آمنا وديعاً خلف الراعى ؟

أرأيت إلى كثافة الصوف على جلده يخب فيه من اللين ؟

لقد فتكوا بالضأن ليلبسوا جلودها فيخدعوا الناس بلونها .. هل يلبسون جلود الضأن تقشفاً وورعاً . وهضم نفس ووداعة ؟ لا .. إنما يلبسون للناس لا لأنفسهم .

هل يلزم من تصورك تلك الصورة إلا النفاق والرياء والخديعة وأنهم ذئاب فى صورة الخراف ؟

هذا هو المعنى الذى تكرر فى الجملة الثالثة بصورة أوضح فى ذئبية القلوب تستتر بجلد الضأن لتخدع وتفتك .

إن الاستفهام فى قوله " أبى تغترون أو على تجترءون " ؟ يستجهلهم وينادى على بلادتهم وحمقهم حين انخدعوا من الشيطان بهذه الألعوبة . فاتخذهم جلد الضأن لذاته ، يخدع به الأنام ويفتك .

إنهم أداة الشيطان خادعين ومخدوعين :

ويؤكد الله القسم على أن يجازيهم جزاء لا يدرى كنهه ، ويعذبهم عذاباً لا يحاط به ، عبر بالكناية التي يسبح خلفها العقل والخيال معاً ؛ حيث لاوصول إلى تحديد " فتنة تذر الحليم فيها حيران " ، الفتنة " هنا " نكرة فى مقام التهويل والترهيب ، وما أعظمها فتنة ، ثم هى موصوفة بالجملة الفعلية وضميرها قد أسند إليه الفعل المتعدى إنذاراً بالخطورة ؛ ثم على من أوقع الأثر ؛ إنه وقع على الحليم العاقل المتأمل وما أثرها عليه ؟ إنه الحيرة التى لزمته للفتنة التى لومتهم ، أليس الوصف بالألف والنون عدولاً عن " حائر " يدل على اللزوم ؛ أليس اتصاف الحليم بذلك دليل فظاعة الفتنة وهكذا ترسم الصورة جزءاً جزءاً ، وهكذا تلتحم وتتماثل ، وهكذا تكون الكتابات من أروع ما يتخذ أفصح العرب من وسائل البيان .

ومن هذه الكتابات أيضاً هذه الأحاديث :

- " عن بن عباس _ رضى الله عنهما _ قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : " خياركم ألينكم مناكب فى الصلاة " .
- عن معاوية _ رضى الله عنه _ قال : قال سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ يقول : " المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة "

****

الفصل الرابع

القصص النبــوى
وخصائصه الجمالية المصورة
لواقع المجتمع

أولاً : من الخصائص الفنية والجمالية :

إن القصة فن التشويق والإمتاع ، وهى تصور واقع الحياة فى صورته الخيرة أو الشريرة وقد تصور الماضى بدافع من التحليل الفنى له حتى يراه الحاضر ، ويتمثل دروسه ، وقد تصور القصة ملامح المستقبل عن طريق رسم الشخصيات ، وقراءة الأحداث ، وتحليل المواقف ، والطموح إلى نموذج مثالى للحياة ، حين يفسد الواقع وتغيب أصداء الماضى .

وإذا كانت القصة تتنوع إلى رواية ، وقصة طويلة ، وقصة قصيرة وأقصوصة ، وكل نوع له خصائصه وأهدافه ومزاياه .

فهذه الأنواع تخضع لمزاج الكاتب ومعتقدة فى الحياة ، وبيئته التى يعبر عنها ، وهى لذلك تحمل من العيوب أكثر ما تحمل من المزايا .

" أما القصص النبوى فهو قصص قصير هادف ، ينبع من التصور الإسلامى ، والواقع التاريخى ، ويمثل الصراع بين قوى الخير والشر فى النفوس ، يزكى جانب الخير ويحث عليه عن طريق غير مباشر ، وهو بيان جزاء كل شخصية حسب عملها الذى قدمته .

وهذا القصص النبوى يعتمد على المقدمات القصيرة الخاطفة أحياناً ، وقد تبدوا العقدة فى المقدمة ، ويتخذ من تصعيد العقد وتتابع المفاجآت وظهر الخوارق تشويقاً للسامع والقارئ ، وإثارة وإلهابا للمشاعر والأحاسيس .

كما ترى الحوار والحكاية يشتركان فى تكوين المشاهد تكويناً رائعاً.

وإن كل قصة على قصرها يمكن أن تحول إلى موضوع تمثيلى طريف ، له خطره فى خلق الوعى الدينى وتقويم القيم السلوكية فى المجتمع .

ويلاحظ أن القصص النبوى خال من الشطحات المستنكرة أو جموح الخيال شأنه شأن قصص القرآن، فى إحكام المشاهد التى يتحقق بها الهدف، فالقصة النبوية امتداد لمضمون قوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص)، و (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم)، فهى إلهام من الحق سبحانه بما يقرر به العقيدة ، ويقوم به السلوك .

" وبعض القصص يتناول المستقبل ، كما فى قصص الفتن ".وآخر منها يتناول تجربة ذاتية لجزء من قصة حياة مثل حديثه _ عليه السلام _ عن نفسه .

أو يتناول ألوانا غيبية شوهدت مشاهدة ذاتية كحديث الإسراء .

والقصص المحمدى مسرح لأنواع النفوس ، وألوان التجارب التى تمر بالرجال والتى تمر بالنساء ، كتصوير المجتمع النسوى فى قصة النسوة اللاتى جالسن أم زرع ، وعبارة كل منهن تصور ضربا من ضروب المعاشرة ولونا من ألوان الحياة النفسية بين الأزواج .

- والأحكام التى نستخلصها من قصصه عليه السلام ؛ والأهداف التى تدور حولها ، هى ككل بيانه شريعة يجب الانتفاع بها ، ونماذج ينبغى أن تكون خيرها فى جانب القدوة والإمامة وأن يكون شرها فى جانب الحذر والإشفاق .

• والأسلوب فيها جميعاً هو أسلوب القصة الذى يحلو فيـــه الإطنـــاب بتكرار بعض العبارات ، ولكنه مع ذلك كما شاهدنا موجز محبوك ؛ جيد الفصل والوصل ، متماسك النظم دقيق الإشادة [1].

وجانب الإيحـــاء والرمـــز فـــى القصـــص النبـــوى مـــن أدق خصائصه،فهو لا يسهب فى الوصف ، ولا يعنى بتحديـــد الزمـــان ولا المكان ، وإنما تصبح القصة نموذجاً سلوكياً .. يتكرر فى كـــل زمـــان وفى كل مكان ، وثمرة القصة ونتيجتها ضوء إيمانى يسير فى وجهـــه من ينشد طريق الحق ، وينأى من اتبع هواه فأضله الله ، فهو تصويـــر لأدواء النفوس البشرية وعلاج ناجح لهذه الادواء فـــى ظـــل المنـــهج الإسلامى السديد .

وأسلوب الحديث النبوى يجيئ فى قالب الحوار ، تشريفاً للمسلم وترغيباً له ، وتعميقاً للمنهج التربوى فى النفوس ، حتى تســـمو لغـــة الحوار بين المسلمين ، وتنشأ بينهم الصلات الحسنة ، وكـــان أســـلوب الحديث القائم على الحوار جزءاً من المنهج الإسلامى فـــى ضـــرورة التواصل بين المسلمين ، حتى تقوى الأمة الإسلامية ، وتتحد كلمتـــها ، وتصبح _ كما قال المولى _ عز وجل : " أمة واحدة ".

• ومن الكتب القيمة التى درست " القصص النبوى " دراسة موضوعية وفنية عميقة تتكئ على المنهج الفنى .. فى ضـــوء الفـــهم الواعـــى لخصوصية الأداء الفنى فى الحديث النبوى ، كتاب :" القصص فـــى الحديث النبوى " دراسة فنية وموضوعية ، للدكتور / محمد بن حسن

---

[1] الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .

الزير .. وقد بذل فيه صاحبه جهداً علمياً وفنياً عالياً ممزوجاً بنزعة إيمانية صادقة صافية .

ومن أهم القضايا التى حللها الباحث : قضية "البنية العامة للقصة النبوية " حيث يقول :" يقوم الهيكل العام للقصة النبوية فى الأغلب الأعم على ثلاث دعائم تشكل إطاراً يحدد شكلها القصص..، وهذه الدعائم تبرز لنا فى البداية والوسط والنهاية ، وهى مرحلة لا تكاد تتخلف فى أكثر النصوص القصصية ، وهذه التركيبة الهيكلية قائمة على أساس من الترابط العضوى الذى يشد بعضها إلى بعض ، بحيث نحس ونحن نقرأ هذه القصص ، قراءة متعمقة ، أن هناك خيوطا منظورة وغير منظورة تؤدى وظيفتها فى تحقيق التلاحم بين دعائم الهيكل الثلاث .

* وهناك نوعان من البداية فى القصة النبوية .. هما :

(أ) بداية مسبوقة بمقدمات تمهيدية .

(ب) بداية بالحدث مباشرة .

- والمقدمات التمهيدية تتكون من كلمات سريعة ، تشكل جملة أو عدة جمل قصيرة تسبق عرض القصة وسرد حوادثها بحيث تعطى للسامع فرصة يتهيأ فيها ذهنه لتلقى أحداث القصة .
- وأما البداية فى الحديث مباشرة فلا تخلو أيضاً من عنصر التشويق والإشارة فهى دائماً ذات حيوية بارزة تكتسبها من طبيعة الحدث ذاته من ناحية كما أنها فى الوقت نفسه لا تخلو أيضاً من عناصر تشويقية ، تعجل المتلقى أكثر إقبالاً علىالقصة ومتابعة لها.

• وتشكل منطقة الوسط فى القصة النبوية نقطة مهمة جداً ، إذ نجد أنها تشكل مجمعاً حيوياً لكثير من العوامل والعناصر المختلفة التى تنشـأ أساساً عن الموقف منذ البداية أوتكون مرتبة عليه بطريقة ما بحيث تتفاعل هذه العوامل والعناصر محدثة آثاراً جديـدة فـى شخصيـة القصة وبنائها .

• وأما النهاية فى القصة النبوية ، فإنها تأتى فى قوة بدايتها ، فقد أتيح لها من مقومات القوة وعناصرها ما يجعلها تضـارع البدايـة فـى امتلاكها للمتلقى ، وتأثيرها فيه .

• والنهاية جزء مهم فى كيان القصة بوجه عام له قيمته الحاسمة فـى تقدير القصة والحكم عليها ، وعلى النهاية يتوقف الأثر النهائى فـى نفس القارئ أو السامع ، فإما أن تفسد النهاية ما سعت القصة منـذ أول خطواتها فى بنائه ، هذا إذا كانت نهاية فاشلة ، وإما أن تؤكـد هذا البناء ، وتحمل ثمرته فى المعنى الأخير الذى سيظل عالقاً فـى ذهن المتلقى وقتا طويلاً حين تكون نهايته ، وهكذا كانت النهاية فى القصة النبوية[١].

• ومن القضايا الفنية التى حللها د/ محمد بن حسن الزير فـى كتابـه أيضاً : قضية " البناء والنسيج " فى الفصل الثـانى ، وهـو فصـل ممتاز ، كما شهد بذلك الدكتور " يوسف خليف " فى مقدمته للكتاب.. وأهم مقومات النسيج فى القصة النبوية وهى نموذج للقصة الناضجة

---

[١] أنظر : تفصيل هذه السمات فى كتاب " القصص فى الحديث النبوى " ، د / محمد ابن حسن الزير ط ٣ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

الهادفة ذات المغزى الخلقى ، والرسالة الاجتماعية النابضة بالصدق والإيجاز فى مسيرة الحياة .. وهي

* الأسلوب * الحبكة * المشكلة * المناجاة

• وفى الفصل الثالث : يحلل _ المؤلف نفسه _ العناصر الفنيـــة فـــى القصة " النبوية " وهى عناصر مشتركة يتضمنها فن القصة بجميـــع أنواعه وهذه العناصر هى :

* الشخصية * الحدث * الحوار * الزمان والمكان

****

ثانياً : الاتجاهات النوعية :

• وهذه العناصر التى تمثل عاملاً مشتركاً بين جميع أنواع القصص .. يضاف إليها فى " القصة النبوية " حقيقة مضيئة تضفى على عناصر القصة النبوية ، صبغة الجلال والجمال وتعطيـــها مــذاق الحقيقــة وواقعية الحدث ، وقداسة المنبع .. فالمصطفى _ صلــى الله عليــه وسلم _ لا ينطق عن الهوى ، إنما يوحى إليه ربه ويلهمــه أســرار البيان وروعة الكلام والقصة النبوية قد اشتملــت فــى كثــير مــن نصوصها على أفعال وأقوال ، صادرة عن الله تبارك وتعالى ، وهى أقوال وأفعال ذات أثر بارز فى سياق القصة ولها مكانها الأصيــل فى البناء الروائى ....

• والنصوص "القصصية النبوية" تزودنا بصورة مبــاشرة ، أو غــير مباشرة بمعارف ومعلومات ، تعطينا التصور الايمــانى بــالله عــز وجل٠٠ وتعرفنا ببعض صفاته ، مما يجعلنا بالتالى أكثر قرباً منه ،

وأكثر شعوراً بوجوده ، وأكثر إحساساً بهيمنته الشاملة علـــى هــذه الحياة فى أولها وأخرها "[1].

- وفى الفصل الرابع : يحلل المؤلف أنـــواع القصـــة فـــى "الحديـــث النبوى"ومنها :

١- القصة الواقعة للرسول _ صلى الله عليه وسلم _ ويمكن أن تسمى " القصة الذاتية أو الشخصية " .. ولا تسمى تجربة ذاتية ، كما أشـــار المؤلف _ وذهب إلى ذلك لأن القصة الشخصية التى صنعت أحداثـــها وقائع حياة المصطفى _ عليه الصلاة والسلام _ فى مشهد من حياتـــه الكريمة _ قصة واقعية حقيقية _ تجسم القدوة الحسنة المتمثلة فى سلوك الرسول وفى أقواله وأفعاله .

- وهذه القصص تبلغ " خمسة عشر نصاً " كما أحصاها المؤلف .
- وهذه القصة لا تشبه المذكرات الشخصية _ كما يرى د/محمد بـــن حسن الزير _ لأن المذكرات تعد رؤيـــة ذاتيـــة محضـــة للواقـــع الخاص.. لكاتب المذكرات ، وربما يسيطر على هـــذه المذكـــرات عنصر المبالغة ، أو البعد عن الصدق ، أو الجيشـــان العـــاطفى ذو السخط على المجتمع والتبرم بالناس .

والأمر غير ذلك فى " القصص الواقعى " فى الحديث النبوى.. فهو أحداث حقيقة صادقة نبعت من واقع حياة الرسول الحافلة بجلائـــل الأعمال ، وحكاية هذه الأحداث وروايتها للعظة والاعتبار ، وللاقتـــداء بشخصية المصطفى _ صلى الله عليه وسلم .

---

[1] المصدر السابق .

فهذه القصص الذاتية الواقعية أقرب فن السيرة منه إلى فن القصص ، والسيرة النبوية حقل نسيج فى مكونات التراث الإسلامى والثقافة العربية والإسلامية ، وهى زاخرة بالمواقف الإنسانية والبطولية والإيمانية فالرسول عليه الصلاة والسلام هو القدوة الحسنة .. فى كل أقواله وأفعاله وصفاته وهيئته ، وفى كل ما يشهد ، وكل ما يقر من حميد الصفات ، وفضائل الأعمال .

- وحادثة شق الصدر ، تعد قضية شخصية وقعت للمصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ وكذلك قصة الهجرة ، وقصة الإسراء والمعراج ، وقصة افتداء الأسرى ، وكل أحداث المعجزات الحسية .. كل هذه الأحداث تعد قصصاً وقعت فى حياة المصطفى _صلى الله عليه وسلم_ وشاركت فى اكتمال مقومات شخصيته الطاهرة المطهرة .
- وتعد حادثة شق الصدر التى حدثت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده فى مضارب بنى سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل . وقد رويت هذه الحادثة بطرق صحيحة وعن كثير من الصحابة منهم أنس بن مالك فيما يرويه مسلم فى صحيحه: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ؛ فأخذه وصرعه ، وشق عن قلبه ، فاستخرجه ، فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه _ مرضعته _ ينادون : " إن محمد قد قتل ، فاستقبلوه وهو ممتقع اللون "[1].

[1] أنظر : صحيح مسلم جـ١ .

- وهذه القصة الواقعية تعلن عن جمالها وفنيتها فى تجاوزهــا للمــألوف وإثارتها للدهشة واشتمالها على عنصر المفاجأة والتشويـــق والإثــارة فالقصة تبدأ بمشهد حياتى مألوف.. " أطفال يلعبون ويمرحون".. وفجأة يقتحم عليهم أفراحهم من لا يعرفونه ، فيفزعون.. حين يــأخذ محمــداً وعقده القصة تأتى فى قمتها حين يصرع جبريل محمداً _ صلـــى الله عليه وسلم _ وصياغة الحديث تدل توالى الأحداث فى عبارات سريعة، وإيقاعات خاطفة ، عن طريق الأفعال الماضية المتواليـــة ، وحـــرف العطف الموحى بالترتيب والتعقيب ، وهو (الفاء) الدال على الســـرعة وتقارب الأحداث.. على هذا النحو (أتاه جـــبريل وهـــو يلعـــب مـــع الغلمان). فأخذاه.. فصرعه ، فشق قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة ، فقال : " هذا حظ الشيطان منك ".
- ومشهد الأطفال وهم يجرون فزعين نحو مرضعته " حليمة السعدية " وينادون ويصرخون.. معلنين النبأ الفاجع الذى تخيلوه واقعاً مخيفـــاً ألم بمحمد ــ حيث صرخوا إن محمد قد قتل".
- أتى لحظة التنوير ، والحل مثيراً للدهشة ، مخالفاً الإلف ومطمئناً فى الوقت ذاته قلب الأم ، وهو لم تفارقه الفجيعة بعد ، وهـــذه اللحظـــة التنويرية أو لحظة " الحل " تأتى فى ختام القصة عبر هذا المشـــهد الختامى الفجائى " فاستقبلوه وهو ممتقع اللون ".
- **وفى السيرة النبوية ترد هذه القصة فى صياغة أخرى ولكن المعنـــى واحد.. ، والهدف واحد .**

وليست الحكمة من هذه الحادثة _ والله أعلم _ استئصال غـــدة الشر فى جسم رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ إذ لو كـــان الشـــر

منبعه فى الجسم أو علقة فى بعض أنحائه ، لأمكن أن يصبح الشريـــر خير بعمليـــة جراحية ، ولكن يبدو أن الحكمة هى إعلان أمر الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ وتهيوه للعصمة والوحى منذ صغره بوســائل مادية ، ليكون ذلك أقرب إلى أيمان الناس به وتصديقهم برسالته .

أنها إذن عملية تطهير معنوى ولكنها اتخذت هذا الشكل المادى الحسى ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهى بين أسماع الناس وأبصارهم .

وأيا كانت الحكمة ، فلا ينبغى _ وقد ثبي الخبر ثبوتا صحيحا _ محاولة البحث عن مخارج لتخرج منها بهذا الحديث " القصــــة " عــن مظاهره وحقيقته .

* ينبغى أن نعلم أن ميزان قبولنا للخبر _ فى هذا الحديــــث _ إنما هو صدق الرؤية وصحتها ، فإذا ثبت ذلك ثبوتا بينا ، فلا منـــاص من قبوله موضوعا على الرأس .

وميزاننا لفهمه حينئذ دلالات اللغة العربية وأحكامها ، والأصل فى الكلام الحقيقة ولو أنه جاز لكل باحث وقارئ أن يصرف الكلام عن حقيقته إلى مختلف الدلالات المجازية ليتخير من بينها ما يروق لـــــه ، لافشلت قيمة اللغة وفقدت دلالتها وتاه الناس فى مفاهيمها[١].

٢- القصة التمثيلية (الإيمانية) : ومفهوم هذا النـــوع مــن القصــص النبوى.. يختلف عن نظيره فى الإبداع القصصى لدى مبدعـــى الفــن والقصص .

فالقصة التمثيلية لديهم تعنى أنها تقوم على الحوار والتفاعل بين الشخصيات وأنها أقرب إلى الفن المسرحى .

---

[١] فقه السيرة : د/ محمد سعيد رمضان البوطى ص ٥١ - ٥٢ ؛ ط /٧ .

* أما التمثيل فى " الحديث النبوى " فهو يعنى .. ما جاء منــــه فى قالب التمثيل والتشبيه.. رغبة فى توضيح الفكرة وتجلية المعنـــى ، وصياغة الهدف المنشود ، فالقصة التمثيلة نوع مـــن القصـــة النبـــوى يضربه الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ مثلاً للفكرة المطروحـــة أو القضية المقررة بصرف النظر عن كون هذا المثال قد وقع فعـــلاً مـــن الناحية التاريخية أو لم يقع...[1] " فهى قصص أقـــرب إلـــى النمـــوذج والمثال _ فهى مثل صالح للتطبيق على امتداد العصور وتباين الأمكنة وتعددها ، واختلاف البيئات وأنماطها .

* ومن القصص التى وردت فى قالب التمثيل ما نقله أبن عباس عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وهو يضرب مثلاً له ولأمتـــه وهى تتبعه وتؤمن بما جاء به.. ،

والقصة تأتى فى قالب " الحلم " ولكنها تنتمى لعالم الواقـــع لأن الرسول _ عليه الصلاة والسلام _ لا يصور خيالا ، ولا ينسج أحداثـــاً من وحى مشاعره الذاتية ، لأنه يصور الواقع تصويراً رمزياً دالاً على معالم الطريق الحق .

وإن فريقاً من الناس يتمسكون بالكتاب والسنة ، وفريقـــاً آخـــر سيحيد عن الطريق يقول بن عباس : إن رسول الله _ صلى الله عليـــه وسلم _ أتاه فيما يرى النائم ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه والآخـــر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه :" أضرب مثـــل هـــذا ومثل أمته ، فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون

[1] القصص فى الحديث النبوى : د/ محمد بن حسن الزير ص ٣٢٤ .

به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة ، فقال : أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أتتبعونى ؟ فقالوا : نعم ، قال : فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم : ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لى إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعونى ، فقالوا : بلى ، قال : فإن بين أيديكم رياضا أعشب من هذا وحياضا هى أروى من هذه فاتبعونى .

قال : فقالت طائفة : صدق والله لنتبعه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه "[1] .

* ومن الأحاديث التى صيغت فى قالب " التمثيل " ما رواه البخارى فى باب " فضل من علم علم " حيث يقول : " حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا حماد بن أسامة عن بديد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ قال : " مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ".

فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به "[2].

* والحديثان الشريفان يتكئان على التمثيل والتشبيه ويصوران واقع الأمة فى استجابتها للدعوة ، واتباع تعاليم المصطفى _ صلى الله

---

[1] القصص فى الحديث النبوى ، والحديث ورد فى المسند جـ٤/٤٢٦ ، وفى مجمع الزوائد جـ*/٢٦٠ .

[2] صحيح البخارى جـ١ ص ٢٦ .

عليه وسلم _ والانتفاع المثمر بهذا التعليم ، والحوار في " الحديث الأول " من أصول البناء الأسلوبي في الصياغة الفنية " قالوا : قالوا " .

ورواية الأحداث عن طريق التمثيل لتصوير الطائفة التي انتفعت بالعلم فعملت به وعلمته للناس وهم الذين تفقهوا في الدين والطائفة الأخرى التي غدت في استجابتها وتفاعلها مع الدعوة المحمدية جدباء مثل القيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ

* والحديث الشريف يوضح أن الذي ينتفع بعلمه الواصل إليه قسمان من الناس قسم ينتفع بثمرات علمه ونتائجه كأهل الاجتهاد والاستخراج والاستنباط . وقسم ينتفع بعين علمه بذلك كأهل الحفظ والرواية ، والحاصل أنه _ صلى الله عليه وسلم _ شبه ما أعطاه الله من أنواع العلوم بالوحي الجلي أو الخفي بالماء النازل من السماء في التطهر وكمال التنظيف ، والنزول من العلو إلى السفل ، ثم قسم الأرض بالنظر إلى ذلك الماء قسمين : قسم هو محل الانتفاع ، وقسم لا انتفاع فيه ، وكذا قسم الناس بالنظر إلى العلم قسمين على هذا الوجه إلا أنه قسم القسم الأول من الأرض إلى قسمين : واكتفى به في قسمة القسم الأول إلى قسمين لوضوح الأمر .

وعلى هذا فأصل المثل تام بلا تقدير في الكلام والله أعلم[1] .

* والتمثيل في هذا الحديث يوضح خاصية دقيقة من خصائص الجمال والبيان في الحديث النبوي ، وهي توافق عناصر التشبيه وعدم تنافرها أو تناقضها ، فماء السماء طاهر.. ونظيف.. وهو نازل من العلو.. هذه الصفات تتفق مع ما أراد المصطفى عليه السلام توضيحه

---

[1] أنظر : حاشية السندي على متن البخاري جـ١ ص ٢٦ ، صحيح البخاري .

من قيمة ما أرسل به ، وما بعث به الناس من هداية.. فهو من وحـــى السماء وهو طاهر في جوهره ، وفي غرضه وهو نظيـف المقصـد ، يحيى موات النفوس والقلوب ، ويهدى الناس إلـى طريـق الخـير ، والرخاء والهداية.. وإلى الصراط المستقيم ، وينقذهم من حياة الجـدب والشقاء والظلام .

القصة التاريخية :

* وهذا النوع من القصص يخالف مصطلح " القصة التاريخية " في " الفنون الأدبية ويخالف ما اصطلح عليه النقاد ، في هذا المجال .

فالقصة التاريخية في الحديث النبوى لم تنشأ رغبة فـى إبـداع نوع أدبى أو إعادة صياغة للتاريخ أو للمبالغة فى تجميـل أو تشويـه مرحلة تاريخية معينه حسب توجيهات الأديب ورغباته ومواقفه .

وإنما القصة التاريخية " النبوية " واقعية محددة تحكى ما وقع ، رغبة في الاقتداء والانتفاع بهذا الواقع إذا كان جميلاً مفيـداً ، وأيضـاً رغبة في إصلاح هذا الواقع إذا كان مريضاً تشوبه الأهواء والنوازع ، أو رفضاً لهذا الواقع إذا كان فاسداً ، متصادماً مع تيار الإسلام المتماوج بالعطاء الإلهى ، والهدى النبوى .

فالقصة فى الحديث النبوى تجمع بين صدق الوقائع ، وجمـال الغرض ، وجلال الموقف ، وإصابة الهدف ، ونبل المقصـد ، وسـمو الغاية ، ومادة هذه القصة مأخوذة من أحداث التاريخ الواقعة فيما مضى من سالف الدهر ، ولكن القصة التى يعرضها الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ هنا يلاحظ أنها تتخير من تلك المواد التاريخية السابقة ماله أثر

فى التربية والتوجيه وتعليم الجماعة المسلمة ، وتأييد أهـــداف الدعـــوة الإسلامية ، وتحقيق أغراضها[1].

* ومن المشاهد التاريخية التى يرويها المصطفى _ صلـــى الله عليه وسلم _ ما يرويه (البخارى) فى صحيحه فى باب "مـــن أختـــار الضرب والقتل والهوان على الكفر" يقول : "حدثنا يحيى عن إسماعيل ، حدثنا قيس عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله _ صلـــى الله عليه وسلم _ وهو متوسد بردة له فـــى ضـــل الكعبـــة فقلنـــا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكـــم يؤخـــذ الرجـــل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع علـــى رأســـه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصـــده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ".

* والمشهد التاريخى السابق يجمع بين التاريخ والمستقبل ، فهو يصور المثل الأعلى فى التضحية والفداء من أجل العقيـــدة وانتصـــار الحق ، وليس هناك تعذيب أقسى وأبشع من هذه الصورة التى رواهـــا المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ فى حديثه الشريف ، وهـــو بـــهذا التصوير الواقعى الصادق للبطولة والفداء يضع أمام المسلمين فى كـــل عصر ، وفى كل مكان بشارات الأمل فى نصر الحق لهم تحقيقاً لوعد الله عز وجل : " وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ".

---

[1] القصص فى الحديث النبوى : د/محمد بن حسن الزير ، ص ٢٥٥ .

وهذا الوعد بالنصر يتجسد فى القسم النبــوى الشريـف " والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضــر مــوت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ".

* وفى مشهد تاريخى محدد المعالم _ والشخصيات _ يوضـــح المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ رعاية الله عز وجــل _ وعنايتــه ونصره للمؤمنين به ، ومن أولى مـــن الأنبيــاء بنصــر الله وحفظــه ورعايته.

ومن أولى من خليل الرحمن ، وزوجته بعناية الحق ، وحفظــه ورعايته

* يروى البخارى فى صحيحه قائلاً : حدثنا أبو اليمان ، حدثنــا شعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ " هاجر إبراهيم بسارة ، دخل قرية فيـــها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة ، فأرسل إليه : أن أرسل إلى بها فقام إليها فقامت تتوضأ وتصلى ، فقالت : اللهم إن كنــت آمنــت بــك وبرسولك فلا تسلط على الكافر ، فغُط حتى ركض برجله"[1] .

* فهذه واقعة تاريخية مثل الصراع بين الإيمان والكفر ، بيـــن حزب الرحمن وحزب الشيطان ، وبين نور الإيمان متمثلاً فى "ســـاره" زوج (الخليل إبراهيم) وبين ظلام الكفر متمثلاً فـــى (الملــك الطاغيــة الجبار) الكافر.. ولا يخلف الله وعده ولا يتخلى عن عبـــاده المؤمنيــن فيحفظ (سارة) من هذا الطاغية ، ويظل عرضها نقياً وشرفها محفوظــاً

[1] صحيح البخارى جـ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠٣ .

كريماً مصوناً ، عفيفاً مصداقاً لقوله عز وجل : (إن الله يدافـــع عــن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور).

ومن القصص التاريخى.. بعض الروايات التى تعالج القضايـــا الاجتماعية فى ضوء الحالة الشعورية والنفسية .

ومن هذه القصص ما يروى عن رسول الله _ صلى الله عليـــه وسلم _ أنه قال : بينما أمرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهــب بــابن إحداهما فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك أنت ، وقالت : الأخرى إنما ذهب بابنك فاحتكما إلى (داوود) عليه السلام فقضى للكـــبرى فخرجـــا على (سليمان بن داوود) عليهما الســـلام فأخبرتـــاه ، فقـــال : أئتونـــى بالسكين أشقه بينكما ، فقالت الصغرى : لا يرحمـــك الله هـــو أبنـــها : فقضى به للصغرى"[1] .

* فالقصة فى هذا الحديث تركز على الحدث ، وكيـــف تجلـــت حكمة سليمان وذكاؤه فى التعرف على أم الابن ، مـــن خـــلال حـــدث طارئ مفزع ، يحرك قلب الأم الحقيقية . واستطاع أن يعرف مـــن أم الطفل الحقيقية ، حين أمر بشق الطفـــل نصفيـــن ، وهنـــا ينتـــاب الأم الحقيقية خوف شديد وذعر أشد حرصاً على حياة ابنهاوسلامته وتضطر للبوح بما لا تعتقد حفاظاً على حياة ابنها ، وتقر أنه ابن الأخـــرى... ، **فيفطن (سليمان) عليه السلام إلى أن الصغرى هى أم الطفـــل ، لأنـــها فزعت حين شعرت بخطر الموت يحيق بصغيرها وفلذة كبدها .**

****

[1] رواه الشيخان والنسائى ، وأنظر : البيان النبوى د/ محمد رجب البيومى .

الفصل الخامس

الخطابة النبوية

أولاً : الخصائص الأدائية

ثانياً : من أسرار البيان النبوى فى خطبة حجة الوداع

إن الخطابة فن أدبى يقصد به إلى التأثير فى نفوس المتلقين عن طريق مخاطبة قلوبهم ، وعقولهم ، وللخطيب أدوات تأثيرية فى مقدمتها جذب انتباه السامعين وإيقاظ ضمائرهم ، وإثارة مشاعرهم ، بما يلقيـــه الخطيب من عبارات لها إيقاعها المؤثر ، وفى صياغتها ، وفى نســيج كلماتها وحروفها ، وفى إلقائها أيضا ، وفى تلوين الصوت جهرا وهمسا وعلوا ، وانخفاضا وما إلى ذلك من وسائل تأثيريـــة متعــددة ، وكــان ظهور الإسلام إيذانا بتطور واسع فى الخطابة إذ اتخذهـــا الرســول _ صلى الله عليه وسلم _ أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجــرة ، حيث ظل ثلاثة عشر عاما يعرض علـــى قومـــه مـــن قريش وكل من يلقاه فى الأسواق آيات القرآن الكريم ، وهو فى أثنـــاء ذلك يخطب فى الناس ، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة محاولا بكل طاقته أن يوقظ ضميرهم ، بل يصور لهم من قوة الكـــائن الأعلى مدبر الكون ومنظمه[1] .

وللخطابة أهمية قوية وتأثيرية فى الإسلام ، فهى مرتبطة بكثير من الشعائر والعبادات فى الإسلام _ فصلاة الجمعة _ تسبقها خطبتان ، وهما متممتان لشعائر الصلاة ، وكذلك صلاة العيدين تعقبهما خطبتان، ولا يكتمل ثواب الصلاة وأجرها إلا بالاستماع إلى خطبة العيدين .

وخطابة المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ قضت على كـــل لون قديم من الخطابة الجاهلية لا يتفق وروح الإسلام مثـــل : خطابـــة "المنافرات"فقد نهى الإسلام عن التكاثر بالآباء والأنساب والأحساب .

---

(1) العصر الإسلامى : د/شوقى ضيف ، ص ١٠٦ .

* وتخالف خطابة المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ في رؤاها وأفكارها ، وفى صياغتها وتراكيبها.. الخطابة في العصر الجاهلى ، حيث كان المصطفى _ عليه الصلاة والسلام _ لا يسجع فى خطابته ، وكان ينفر منه حين يلجأ إليه أحد محدثيه كراهية للتشبه بالكهان فى سجعهم .

*والخطابة فى العصر الجاهلى لم تكن ذات موضوع محدد ومن ثم كانت تأخذ شكل أقوال متناثرة ، لا رابط بينها . أما فى هذا العصر فقد أصبح للخطابة موضوع واضح يجول فيه الخطيب ويصول ، إذ يحدث للناس واعظاً ، أو يعرض عليهم حدثاً محدداً من أحداث الإسلام.

وكان محمد _ صلى الله عليه وسلم _ يخطب فى العرب على هدى القرآن الكريم ليخرجهم من ظلمات الوثنية إلى نور الهداية السماوية ، وقد أوتى من اللسن والفصاحة ما ملك به أزمة القلوب ، وكأنما كانت المعانى موقوفة بشخوصها بين يديه ليختار منها ما تهش له الأسماع ، وتصغى له الأفئدة [1] .

* ومن الخصائص الأدبية لخطابة المصطفى _ عليه الصلاة والسلام _ أنه كان يستعمل جميع فمه للتكلم ، ولا يقتصر على تحريك الشفتين ، كما يقول "هند بن أبى هالة" يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم .

وقد برأ الله سبحانه رسوله من عيوب المنطق "الخلقية" التى لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة التبليغ ، حيث برئ الأداء النبوى فى منطقه من عيوب المنطق مثل "التمتمة ، والفأفأة ، وغيرها" وبرئ

---

(1) أنظر : الفصل الثاني من هذا الكتاب لمزيد من الإيضاح .

أسلوبه ، ونطقه من تنافر الحروف ومن التعقيد والمعاظلة ، ومن الغرابة المستكرهة ، ومن الألفاظ الوعرة الوحشية فى غير قصد أو غرض .

كما برئ منطق المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ فى خطابته وأحاديثه من عيوب النطق التى تصدر عن مبالغة وتكلف كسبا لرضا المستمعين ، واستجلاباً لثنائهم ، مثل التنطع والتمطق والتفهيق ، وغيرها..."

* وتتسم خطابة المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ بالدقة والوضوح وعدم المبالغة فالخطبة نسيج متلاحم من الفكر التشريعى الواضح على هدى التعاليم القرآنية .

* وهو "عليه السلام" فى أسلوبه الخطابى بعيد عن الانفعال الذى ينأى بالخطيب عن دائرة الحقيقة ، فكل ما يتفوه به فى خطابته صدق وجد ، وترغيب وترهيب ، وإرشاد وتشريع ، وهداية وتبشير .

ومقدمات الخطب النبوية تنبئ عن مقومات الشخصية الإسلامية فى إيمانها بالغيب ، وتوكلها على الله ، وكذلك يهيئ المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ الجو النفسى للمستمعين ، ويأتى فى مقدمات خطبه بما يلائم أحوال المستمعين ، ويهيئهم للجو المناسب لطبيعة الموضوع ، ففى أول خطبة خطبها _ عليه السلام _ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، يقول عبارة موجزة تطمئن النفوس ، وتنزع الجزع من نفوس أهل مكة، وتشدهم فى صدق وحب ويقين إلى اتباع الإسلام ، وإلى حب هذا النبى الكريم . ويقول عليه السلام :" إن الرائد لا يكذب أهله"... والرائد هو : المرسل فى طلب الكلأ ، أى الذى يرسله الناس ليبحث عن الطعام

فهو يصدق أهله ودائماً لا يخدعهم ، بعد أن يطمئن المصطفى _ عليه الصلاة والسلام _ القوم _ بهذه العبارة الجامعة الدالة الموحية ، يقول لقومه "أهل مكة" فى صيغة القسم الذى يؤكد صدق البشير النذير فى دعوته ، وفى وفائه بالعهد :" والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ،

والله لتموتن كما تنامون ،

ولتبعثن كما تستيقظون ،

ولتحاسبن بما تعملون

ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا "[1] .

والمصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ معصوم من الكذب ومن التغرير ، ولذلك أتى بأسلوب الشرط وأدواته " لو" وهى أداة امتناع لا متناع ، فكذبه على قومه مستحيل لأن كذبه على الناس جميعاً مستحيل ، وكذلك تغريره بقومه مستحيل لأن تغريره بغيرهم من الناس داخل فى دائرة الاستحالة ، والمؤانسة والمؤاخاة والمصافاة والمحبة الصافية تسكن حروف هذه الكلمات النقية الحانية وليس هناك أصفى ودا ، وأنقى إخاء ، وأشبع عاطفة من إشباع الإحساس بالخصوصية والمودة فى القربى . وهذه الخصوصية تعبق بعطرها الإنسانى والنبوى

---

[1] أنظر : نص هذه الخطبة فى " جمهرة خطب العرب " تأليف أحمد زكي صفوت جـ١ ، وراجع إلى " السيرة الحلبية " ، و " الكامل لابن الأثير ".

هذه العبارة الحانية الراشدة بما تنشره من ظلال الأمان فى النفـــوس ، وبما تزرعه من ثمار الهداية فى القلوب .

يقول المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ **لأهل مكــة " أحــب البلاد إليه":** " إنى لرسول الله إليكم خاصة **وإلى الناس كافة** ".

* وبعد هذا التواصل الحميم ، وهذا **التـــأثير العميـــق ، يقـــرر المصطفى** _ عليه الصلاة والسلام _ **حقيقة الحقائق** ، ولب **الألبـــاب** ، **وجوهر العقيدة** ، وصلب الرسالة ، وهى **حتميـــة الإيمـــان بـــالبعث** ، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ، وجنة ونار .

وبتوسط دائرة الإيمان بالبعث ووجوبية وجـــود الجنـــة **والنـــار** محور الوجود الإنسانى فى حياته الدنيا وضرورة **الإيمـــان بالحســـاب** والجزاء ، على ما تقدم من أعمال :

(ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً)

فهنا العدالة فى أسمى تصور لها ، فالخطاب للجميع ، والثواب للمحسن، والعقاب للمسئ عملاً بقول الله عز وجل : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

ويقول تعالى : (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم ...)

وفى أول خطبة خطبها بالمدينة نجده يحذر البشرية **كلـــها مـــن الغفلة والتفريط فى المسئولية ، ويطلعهم علـــى مصـــير المعـــاندين ،** والجاحدين الذين لم ينفذوا تعاليم الله ، **ولم يطبقوا منهجه فى الأرض ؛** ويرشد الناس إلى طريق الخير ، وإلى سبل النجاة من النار . وكل ذلك يتم عرضه فى صياغة متنوعة الأساليب وجمل واضحة لا التواء فيـــها

ولا ابتذال..، وإنما تفيض هذه الجمل بالقوة والصدق ، والحرص على نجاة كل من آمن بالله وبرسوله ورسالة الإسلام .

ويروى ابن هشام فى "السيرة النبوية" نص هذه الخطبة قـائلاً : "وكانت أول خطبة خطبها رسول الله _ صلى الله عليه وسـلم _ فيمـا بلغنى عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن : نعوذ بالله أن نقول على رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ ما لم يقل :

إنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، بما هو أهل له ، ثم قال : " أما بعد : (أيها الناس : فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، الم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وأفضلـت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظر يمينا وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثـم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهـه مـن النار ، ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فـإن بـها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته [1] .

((امتزاج القيم الجمالية والأسرار التعبيرية بالمبادئ المكونـة للشخصية الإسلامية فى الخطبة النبوية)) .

---

(١) أنظر : السيرة النبوية لأبن هشام جـ٢ ص ٦٣ ، ت د / محمد فهمى السرحانى
وأنظر : جمهرة خطب العرب . المكتبة التوفيقية جـ١ ص ١٤٨ .

(خطبة حجة الوداع)

دراسة تحليلية

وفى خطبة " حجة الوداع " تتجلى معالم البيان النبوى ، وتتــألق أبعاده ، فالخطابة فن أدبى كاد يندثر فى عصرنا الحديث ، وما أحوجنا إلى تأمل النماذج العليا من هذا الفن الأدبى الراقى ، إنه فن الإلقاء وفن صياغة الكلمة صياغة آسرة تؤثر فى المتلقى ، وتأسر أحاسيسه وتثــير انفعالاته ، وتمتع عقله ، وتشبع عاطفته !!!!.

وحين نتأمل هذه الخطبة : نجدها كنزاً من الأساليب المضيئــــة بالإيمان ، والناطقة بأدق أسرار لغتنا العربية الفصحـــى لغـــة القــرآن الكريم .

والخطبة تبدأ بمقدمة حرص الرسول على ذكرها كثــــيراً فـــى افتتاح خطبه ، وهذه المقدمة تعد صورة صادقة لمكونـــات الشخصيـــة الإسلامية ، وتبياناً لعلاقة المسلم بالله والكون والإنسان ومن هنا تنــأى المقدمة فى "الخطبة الإسلامية" عن الترف اللفظى ، والحشر الزائف فما ورد فى المقدمة يعد من أدق صفات وسلوكيات المسلم .

فالمقدمة تعلن عن خمسة مبادئ إسلامية تحدد علاقـــة المســلم بربه وهى : الحمد ، الاستعانة ، الاستغفار ، التوبة ، الاستعاذة .

وقد وردت هذه المبادئ فى صيغة الجمع المتكلم . لتوحى بأنها حالة شعورية صافية يموج بها الوجدان الإسلامى كله ؛ وإعلانه عـــن علاقة ثابته بين المسلم وربه ، فى إطار هذه المبــادئ ، وزمــن هــذه المبادئ _ حين نتأمل البنية اللغوية _ نــراه قــد صيــغ فــى قــالب المضارعة ، وفى ذلك إيحاء بتجدد هذا الشعور واستمراره فهو هتاف

المؤمنين فى كل زمان ومكان ، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام : " الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ".

والإقرار بالتوحيد يأتى فى ختام المقدمة ليصبح سمة من سمات الخطابة فى الإسلام وليميزها عن الخطابة الجاهلية ، فشهادة التوحيد هلا مفتاح الجنة ، وبرهان الإيمان .

والخطبة دستور إسلامى متكامل بين فيه الرسول عليه السلام موقف الإسلام من التقاليد والعادات الجاهلية ، وهو موقف الرفض ماعدا خدمة الكعبة وسقاية الحجيج .

ثم بين الرسول عليه السلام الأحكام التشريعية بتنظيم المجتمع الإسلامى فيما يتعلق بالحقوق والواجبات .

ثم يحدد العلاقة بين الرجل والمرأة ويوحى بضرورة تحقيق المساواة وتآزر المسلمين والعمل على تحقيق الأخوة فيما بينهم ومعيار هذه الأخوة هو العدالة والحفاظ على حدود الله ، ويخص النبى عليه الصلاة السلام الميراث بذلك لأنه باب التناحر والشقاق حين يخالف الناس فى شرع الله عز وجل .

وهذه القيم الإسلامية يصوغها الرسول عليه الصلاة والسلام فى أسلوب سهل واضح مبين ، لا عوج فيه ولا التواء ، إنه كما قال الجاحظ " كلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وألقى الله محبة عليه ، وفشاه بالقبول وجمع بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ".

وقد فاضت هذه الخطبة بالأسرار التعبيريـــة والقيـــم الجماليـــة والأساليب الموحية ، ومنها :

أولاً النـــــداء :

وقد تكرر النداء فى الخطبة ثمانى مرات ، ويتمثل هذا الأسلوب فى قوله عليه الصلاة والسلام "أيها الناس" : والنداء هنا يكشـــف عـــن حرص المصطفى عليه السلام على هداية العالمين جميعاً ، ولذلك جاء التعبير بلفظ "الناس" فالإسلام دين البشرية جمعاء ؛ قال تعالى[1]:"ومـــا أرسلناك إلا رحمة للعالمين" .. وبين كل نداء ونداء يبث السراج المنير شعاعاً من نور الحق ليضئ به دروب النفوس التى أظلمـــت قـــروناً عديدة ، ويظل النداء سارياً فى ضمير الأجيال المؤمنة عـــبر القـــرون المتعاقبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثانياً : التكرار :

ويمتزج التكرار بالنداء فى قوله (أيها الناس) كى يوقظ الحواس الغافية والقلوب الغفل ، والآذان الصم .

ويمتزج التكرار بالتوكيد فى قوله عليه الســـلام :" إن دمـــاءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شـــهركم هذا فى بلدكم هذا ". وتكرار أسم الإشارة يفسر لنا حرص الرسول عليه السلام على حرمة الأماكن المقدسة ؛ وثمرة ذلك الحـــرص المحافظـــة على أمن البلد الأمين واستقراره بما فيه من أناس وطير وشجر وحيوان من خلق الله (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

---

[1] سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

وبتكرار اسم الإشارة فى موضع آخر للدلالة على التعظيم والتحديد وأيضاً لتنبيه المخاطبين إلى إكتمال الرسالة وبلوغها الدرجة المثلى .. وكأنها تهيئه نفسية للمسلمين من أجل ألا يفزعوا حين يلقى المصطفى ربه.. راضيا مرضيا.. إنه يقول : " اسمعوا منى أبين لكم لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقعى هذا ".

ويكرر المصطفى عليه السلام قوله :" ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد " ست مرات فى خطبته الرائعة ، وهو بهذا التكرار يلقى على المسلمين عبء المسئولية ويشهد عليهم الحق سبحانه وهو خير الشاهدين ، وهذا التكرار يأتى فى قالب الاستفهام المثير للانتباه ، والراصد للمشاعر المؤمنة ، التى لن تجيب إلا بالقبول والإقرار ، ومن هنا تكون الحجة على المخالفين المعاندين ، قال تعالى[1]: (فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) .

ثالثاً : التوكيد :

ويتكرر التوكيد فى هذه الخطبة تسع عشر مرة ، والمؤكدات هنا أداتها حرف "إن" أو "أن" وكثرة التأكيد له علاقة بمدى أهمية الأمر المؤكد ، وأى أهمية أكبر من إقامة المجتمع الإسلامى على دعائم الحق والخير والعدالة والمساواة والتآخى ، فقوله عليه السلام :" إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم " تأكيد للمحافظة على النفس والمال ، وقوله :" إن ربا الجاهلية موضوع" تأكيد لرفض السياسة الجاهلية الاقتصادية مهما كان زمنها ، وقوله :" إن دماء الجاهلية موضوعة " تأكيد لرفض التصور الجاهلى للمحافظة على النفس أو لثأر

---

(1) سورة التوبة الآية ١٢٩ .

لها ، وقوله : " إن مآثر الجاهلية موضوعة " تأكيد لرفـــض التصـــور الجاهلى لأسس التفاضل بين الناس ، وقوله :" إن الشيطان قد يئـــس أن يعبد فى أرضكم هذه" تأكيد لوجوب مقاومة الشيطـــان بكـــل مغرياتـــه وموحياته ، وقوله :" إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليـــهن حـــق" تـــأكيد لإقامة البنيان الأسرى على أسس عادلة ثابتة ، وقوله :" إنما المؤمنون إخوة " تأكيد لاستمرار حيثيات الأخوة وترجمتها إلى سلوك إســـلامى ، وقوله :" فأنى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله" تأكيد لوجوب الحرص على العمل بالكتاب والسنة حتى تكون النجاة من تيه الضلال وعماية الفساد .

إن القيم السابقة تعد معالم أساسية فى حياة المسلم ، وهـــى مـــن جوامع كلمه _ صلى الله عليه وسلم _ ولن تفقد معناهـــا وخصائصـــها حين تنفصل عن كيان الخطبة الكلى ، ومن هنا يختلف البيـــان النبـــوى عن غيره من بيان الخطباء والبلغاء ، والأدبـــاء ، فالحقـــائق توشيـــه والجمال يغشاه من جميع جوانبه ، وهو كما قال :"هند بن أبى هالـــة " حين سأله " الحسن بـــن على" عن منطق رســـول الله عليـــه الصـــلاة والسلام : " يتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير".

رابعاً : أسلوب الشرط والجواب :

ويتكرر هذا الأسلوب فى الخطبة ثمانى مرات : ومواضع ورود هذه الأساليب تشير إلى منهج الإسلام فى الثواب والعقاب ، فالجزاء من جنس العمل فلكل عمل صالح ثواب ، ولكل عمـــل مخـــالف عقـــاب ، فالسماع شرط البيان فى قوله عليه السلام :" اسمعوا منى أبيـــن لكـــم"

والأمانة من أخص صفات المسلم ولذلك يقول عليه الصلاة والســـلام :" فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها ".

وجواب القسم هنا جاء فى صيغة الطلب إعلاناً عن حتمية الأداء وعدم التهاون والتقصير فى هذا الشأن .

وقد حسم الرسول عليه السلام قضية "التبنى" فى الإسلام حيـــن قال :" من أدعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه.. فعليــه لعنــة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ".

ومجئ هذه القضية فى أسلوب الشرط والجواب يرشد إلى عظم الفرية ويفسر التركيب اللغوى تفاقم خطرها فى خلط الأنساب ، وتشويه صورة المجتمع الإسلامى ، ولذلك جاء الجواب فى أسلوب القصـــر ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

خامساً : التوازن :

وهذه الخاصية من سمات الادب النبوى فهو يخــاطب العاطفــة قدر ما يخاطب العقل ولا يجور فيه الخيال على الحقيقة ، ولا يطغـــى فيه المحسوس على المعقول ، ولا يتجه إلى قوم آخرين ، ولا يخضـــع لمؤثرات بيئية ، ولا لحيثيات زمنية ، إنه خطاب شامل للبشرية جميعاً ، وهى ستظل بظلال الإسلام فى كل زمان.. وفى كـــل مكـــان ، مـــهما اختلفت اللغات ،ومهما تباينت الأجناس ، وتعددت البيئات ، فـــالشعور الإيمانى هو الدائرة التى يتحركون فى فلكها ، وهو المنبـــع والمجـــرى والمصب ، منبع العقيدة ومجرى السلوك ومصب الرؤى والإشراقات.

والتوازن فى هذه الخطبة يتألق في مبانيها وفي معانيها ، عبارة وفكرة وأداء جمالياً مشرقاً: وتناسق التراكيب من سمات ذلك التوازن ،

فالعبارات متناسقة متوازنة كأنها صورة لنفس المسلم فـــى توازنـــها ، وتناسقها السرى ، ففى مجال رفض قيم المجتمع الجاهلى المتطرفة التى نأت عن التوازن بكل أبعاده يقول المصطفى عليه السلام :

" إن ربا الجاهلية موضوع .. وإن أول ربا أبدأ به ربا عمـــى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ بـــه دم عامر بن أبى ربيعة بن الحارث بـــن عبـد المطلـب ، وإن مـــآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ".

فالتصور الإسلامى لقيم العصر الجاهلى محدد وواضح ، ولذلك جاء التعبير عن ذلك التصور فى بيان الرسول _صلى الله عليه وسلم_ متناسقاً فى عباراته ، متزناً فى مبانيه ، فصياغة الأحكـــام ومتعلقاتـــها جاءت فى صور متشابهة من حيث البناء اللغوى ، وقد اتحد خـــبر إن فى الأحكام الثلاثة وهو لفظ "موضوع" ومعناه "ساقط ومحرم" ودلالـــة هذا اللفظ تخالف ما تعاهد عليه المتحدثون بالعربية فى العصر الحديث، وتوافق ما تعارف عليه رواة الحديث والشعـر فـــى قضيـــة "الوضـــع والانتحال" فيقولون : هذا حديث موضوع ، وهو شعر موضـــوع ، أى غير صحيح النسبة إلى قائله .

.... ومن سمات التوازن فى الأدب النبـــوى مطابقـــة الكـــلام للحقيقة ، فهو ليس استعراضاً أسلوبياً ، وليس زخرفة لفظية ، وليـــس تهويما فى أودية الخيال ومسابح الظنون بل هو حقـــائق تلبـــس أرديـــة الجمال وأحكام تتاصر فيها الأفعال والأقوال ، فالمصطفى عليه الســـلام يقول : "إن ربا الجاهلية موضوع" ثم يوازن بين الحكم (القول) وبيـــن القدوة (الفعل) فيبدأ بربا عمه العباس ، فيسقط عن رقاب المدينين لـــه

رباه ، وحين قال : "إن دماء الجاهلية" بدأ بعشيرته وأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

فأى عدالة حاسمة بعد هذا ؟ وأى تـــوازن نفســـى واجتمــاعى وسلوكى بعد هذا ؟ وأى قدوة حسنة مضيئة مشرقة بعد هذا الذى أعلنه المصطفى عليه السلام ؟

إن نكبة المسلمين فى العصر الحديث تفاقمت أخطارها بســـبب انفصال المسلمين عن واقع دينـــهم المحكــم ، فــأصيبت شخصيتـــهم بالانفصام والازدواجية ، وفقدوا خاصية "التوازن" ، فنصوص الكتـــاب والسنة فى واد ، وهم فى واد آخر ، قدوتهم فى ســـلوك أعدائـــهم !!! ودواؤهم فى مكمن دائهم !!! ورجاؤهم مقطـــوع الأســـباب وطريقـــهم موغل فى التيه بلا إياب !.

وكأن المصطفى عليه السلام يشاهد واقـــع المســلمين اليــوم ، فيوصيهم بالتآخى والوئام والبعد عن التناحر والخصام ويناديـــهم فـــى لحظة الوداع ، نداء من بالمؤمنين رؤوف رحيم "أيـــها النـــاس : إنمـــا المؤمنين أخوة .. ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفـــس منه ، إلا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فــلا ترجعـــن بعـــدى كفـــارا .... يضرب بعضكم رقاب بعض .

إن هذه الوصايا المحمدية تشخص الداء وتعطى الدواء النـــاجع المفيد ؛ وهى تمثل حالات متعددة يمكن أن تجثم على واقـــع الوجـــود الإسلامى ، ولذلك تنوعت أساليبها وتآزرت تراكيبها اللغويـــة.. فـــهنا أسلوب النداء.. وبعده يأتى أسلوب القصر ليؤكد الأخوة الإيمانية الثابتة، وثباتها نطقت به إسمية الجملة " إنما المؤمنون إخوة " ، ويـــأتى النفـــى مقروناً بالفعل المضارع فى قوله :" لا يحل " إشارة إلى تجدد ذلك النفى واستمراره .. حيث يظل المال فى منطقة الحرمة لا يتعدى عليه سارق أو مغتصب أو مختلس أو محتال ، ويأتى الاستفهام مقيماً الحجة علـــى السامعين والمخاطبين فى كل زمان وفى كل مكـــان ، ويـــأتى الدعـــاء

وطلب الشهادة من الله ، بعثاً للرهبة فى النفوس التى يطوف بها الإثم ، وتمكيناً للطمأنينة فى النفوس المؤمنة المفعمة بزاد التقوى وبرد اليقين .

ويرشد المصطفى عليه السلام المسلمين إلى أفق الرجاء وباب النجاة فيقول مؤكداً قوله الذى صاغه فى أسلوب الشرط والجواب :

" فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله ".

فهل يدرك المسلمون أسباب النجاة ؟ هل يعودون إلى مشرق الأمل ومنارة التوحيد ؟

هل يتواصون بالحق والصبر ، ويبلغ الشاهد الغائب ؟

هل يجعلون من وقفة عرفات موسماً للذكر والمكاشفة والتناصح والتآلف ؟ فهم فى حاضرهم كما قال شوقى يضرع إلى ربه فى يوم عرفة :

شعوبك فى شرق البلاد وغربها ** إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا.. فلا الأنساب فيها تفاوت ** لديك .. ولا الأقدار مختلفات
بأيمانهم نوران : ذكر وسنة ** فما بالهم فى حالك الظلمات !!!

وبعد .. فهذه بعض الأسرار التعبيرية فى خطبة حجة الوداع ،

وأعظم سر فى بيان المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه لم يزل مشرقاً بالمعانى الوضيئة والألفاظ المبينة ، ولم تزل النفوس الظمآى تجد فيها ريها ، والقلوب الحيرى تجد فيها هديها ولله در الجاحظ حين قال : " لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم طلباً ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم ".

نص خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم _ عباد الله _ بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير .

أما بعد أيها الناس : أسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا .

أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت؟اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانه فليؤدها إلى الذى ائتنمه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدا به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحار بن عبد المطلب [1]، وإن مآثر الجاهلية موضوعة ، غير السدانة والسقاية[2]، والعمد قود[3]، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحتقرون من أعمالكم ،

---

(1) يقول أبن هشام فى السيرة النبوية : وكان مسترضعاً فى بنى ليث ـــ فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

(2) السدانة : خدمة الكعبة ، والسقاية : سقابة الحجاج .

(3) العمد : القتل العمد ، والوقود : قتل القاتل بمن قتل .

أيها الناس : إنما النسئ[1] زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله .

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة : ثلاث متواليات وواحد فرد ، ذة القعدة ، وذو الحجة، المحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان[2]. ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق ، ولكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وإنما النساء عندكم عوان[3]لا يملكون لأنفسهم شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس : إنما المؤمنون أخوة ، ولا يحل لأمرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ، فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ، ليس عربى على

[1] النسئ : شهر المحرم ، وكانوا يحرمونه عاماً ويحلونه عاماً آخر إن أرادوا الإغارة فيقولون : إنه بعد شهر صفر .

[2] فى رواية ابن هشام عن أبن إسحاق " ورجب مضر " وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك كما ورد فى هامش " السيرة النبوية " لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان وتسميه رجباء من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة .

[3] عوان : أسيرات أى عندكم بمنزلة الاسيرات .

عجمى فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، قالوا : نعـــم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، فـــلا تجوز وصية لوارث فى أكثر من الثلث ، والولـــد للفـــراش وللعـــاهر الحجر[١].

من أدعى لغير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [٢]

---

[١] للفراش : أى لصاحبه ، وللعاهر : أى أن هذا مقضى به رغم أنفها .

(٢) فى رواية ابن هشام جاء فى آخر الخطبة هذا النص :

" أيها الناس : أسمعوا قولى وأعقلوا تعلمن أن كل ملسم أخ للمسلم ، وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا من أعطاه عن طيب نفس ، فلا تظلمن أنفسكم ..... اللهم هل بلغت ؟ ".

الفصل السادس

فى ظلال الأحاديث القدسية

(أ) الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى.

(ب) ادخلوها بسلام آمنين

(ج) أهل اللجنة المصطفون

(د) تماسل بنية المجتمع الإسلامى

الفرق بين القرآن والحديث القدسى والحديث النبوى :

إن مصدر التشريع فى العقيدة يتمثل فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وفى القياس .. وفى إجماع علماء الأمة وفقهائـــــها ، والسنة النبوية الكريمة تتمثل فى كل ما صدر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو هيئة أو صفة ..

" وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ المسلمين سنته الشريفة وحبب إلى أصحابه _ رضوان الله عليهم _ حفظ الحديث وتبليغه ، ووضع منهج التلقى والتحديث ، وأرسى بينهم قاعدة التثبيـــت العلمى التى ساروا عليها ، واتخذوها منهجاً فى الرواية بعد ذلك .

وسار الصحابة فى حرصهم على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم " إلى جانب ما يقومون به من أمور المعاش " وإذا تعذر على بعضهم الحضور ، يتناوب مع غيره ، كمـــا يفعـــل عمـــر بـــن الخطاب رضى الله عنه قال :

" أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ، وهـــى مـــن عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليـــوم وغـــيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك .

• وكانت القبائل البعيدة تبعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم من يتعلم أحكام الدين منه ، ثم يعود إليهم ليرشدهم ويعلمهم "[1]

• وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يدعـــون ربـــهم أن يرزقهم علما لا ينسى ، فكانوا إذا لا يقتصرون على همتـــهم وقولتـــهم وذاكرتهم ، ولكنهم يجمعون إلى جانب العلم .. العمل الجد .. ويكثرون من الدعاء حرصاً منهم على حفظ السنة الشريفة ، والوقوف على دقائق الدين وعلومه وأحكامه "

---

[1] السنة النبوية فى مواجهة التحدى : د / أحمد عمر هاشم من ص ١٣ - ١٦ .

* وهذه السنة النبوية الكريمة الممثلة فيما روى المصطفى صلى الله عليه وسلم تشمل الأحاديث النبوية ، والأحاديث القدسية .

لأن الحديث القدسي .. ألفاظه من إنشاء المصطفى صلى الله عليه وسلم ومعناه توحى إليه من قبل الله عز وجل .. والرسول صاغه بعبارته العربية المبينة الواضحة .. ورواه عنه الصحابة الأجلاء باللفظ والمعنى أو بالمعنى فقط ، مع الحرص على عدم تبديل الدلالة المعنوية حين يتغير النسق اللفظى أو تبديل العبارة من نسق إلى آخر .

والعلماء الأجلاء ذكروا عدة فروق بين الحديث النبوى ، والحديث القدسى كما حددوا الفروق الحاسمة الفاصلة بين النص القرآنى ونص الحديث القدسي ، حتى لا يختلط الأمر على الناس ، وحتى يظل النص القرآنى محتفظاً بإعجازه وبلاغته وقدسيته ومصدره الألهى .

*** (الفرق بين القرآن و الحديث القدسى ، والحديث النبوى) :**

* قال ابن حجر " لابد من بيان الفرق بين الوحى المتلو وهو القرآن ، والوحى المروى عنه _ صلى الله عليه وسلم _ عن ربه عز وجل وهو ما ورد من الأحاديث الالهية ، وتسمى القدسية .. وهى أكثر من مائة ..

قال :

أعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام :

*** أولها وأشرفها القرآن الكريم لتميزه عن البقية بإعجازه ، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر ، محفوظة من التغيير والتبديل ، وبحرمة معه للمحدث وحرمة تلاوته للجنب ، وعدم روايته بالمعنى ، وبتبعيته فى الصلاة ، وبتسميته قرآناً ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات ، وبتسمية الجملة آية وسورة ، وبامتناع بيعه فى رواية عند أحمد وكراهته عندنا .**

وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شئ بل يبطلها ، ولا يسمى قرآناً ، ولا يعطى قارئه لكل حرف عشر حسنات ، ولا يمنع بيعه ولا يكره اتفاقاً ، ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقاً أيضاً ..

• ثانيهما : كتب الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ قبل تغيرها وتبديلها .
• ثالثها : بقية الأحاديث القدسية ، وهى مانقل إلينا أحاداً عنه _ صلى الله عليه وسلم _ مع إسناده لها عن ربه .
• وقد حدد بعض العلماء الفروق بين القرآن والحديث القدسى فى ستة أوجه وهى :
• الوجه الأول : أن القرآن معجز ،والحديث القدسى ليس معجزاً
• الوجه الثانى : أن الصلاة لا تكون إلا بـالقرآن بخلاف الحديث القدسى.
• الوجه الثالث : أن جاحد القرآن يكفر خلاف الحديث القدسى فلا يكفر.
• الوجه الرابع : أن القرآن الكريم لابد فيه من كون جبريل _ عليه السلام _ واسطة بين النبى _ صلى الله عليه وسلم _ ، ومن الله تعالى بخلاف الحديث القدسى .
" فإنه أحياناً يكون بواسطة جبريل ، وتارة يكون بالوحى أو الإلهام أن المنام مفوضاً إليه التعبير بأى عبارة شاء ، من أنواع الكلام ".
• الوجه الخامس : أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى / بخلاف الحديث القدسى فيجوز أن يكون اللفظ من النبى صلى الله عليه وسلم .
• الوجه السادس : أن القرآن لا يمس إلا بالطهارة ، والحديث القدسى يجوز مسه من المحدث [1] .
• " والحديث النبوى .. من كلام المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ .. ومعانيه مستندة من المعانى القرآنية .. وهو محاط بالقبول والعناية والرضا من قبل الله عز وجل .
• فالحديث القدسى يلتقى مع الحديث النبوى فى أن كليهما لفظه من رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ ، مفردات وتراكيب وأساليب

---

[1] أنظر الأحاديث القدسية جـ١ ، دار الفكر العربى ص ٤ _ ٧ .

وصيغاً ، وصوراً جمالية .. ولكن الحديث القدسي يحكيه النبى حكايـــة عن الله تعالى ويسند مضمونه إليه أما الحديث النبوى فمن كلام النبـــى نفسه .

وقد فرق صاحب كتاب " قواعد التحديث " من فنون مصطلـــح الحديث وهو " جمال الدين القاسمى " بين القرآن والحديث القدسى وغير الحديث القدسى فى محاورة بديعة ، فيها عمق .. ووجدان مشع بالحب والصفاء والروحانية ومن هذه المحاورة أقتبس هذا الجزء ..

" قال التلميذ لأستاذه : ما الفرق بين هذه الثلاثة ؟ وكان يعنى القـــرآن والحديث القدسى ، وغير القدسى ..

قال الأستاذ : الفرق بين هذه الثلاثة ، وإن كانت كلها خرجت من بيـــن شفتيه " صلى الله عليه وسلم " وكلها معها أنوار من أنواره صلـــى الله عليه وسلم .

أن النور الذى فى القرآن قديم من ذات الحق سبحانه لأنه كلامه تعالى قديم ، والنور الذى فى الحديث القدسى من روحه صلى الله عليه وسلم. وليس هو مثل نور القرآن ، فأن نور القرآن قديم , ونور هذا ليس بقديم والنور الذى فى الحديث الذى ليس بقدسى " أى الحديث النبوى " مـــن ذاته صلى الله عليه وسلم .

فهى أنوار ثلاثة أختلفت بالإضافة

* ونور الحديث القدسى من روحه صلى الله عليه وسلم .
* ونور الحديث النبوى من ذاته صلى الله عليه وسلم .
* قال التلميذ : ما الفرق بين نور الروح ونور الذات ؟

فقال الأستاذ :

الذات خلقت من تراب ، ومن التراب خلـــق جميـــع العبـــاد ، والروح من الملأ الأعلى هو أعرف الخلق بالحق سبحانه ، وكل واحد يحن إلى أصله ، فكان نور الروح متعلقاً بالحق سبحانه ، ونور الـــذات متعلقاً بالخلق .

- **فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق بتبين عظمته.**
-

أو بإظهار رحمته أو بالتنبيه على سعه ملكه وكثرة عطائه

- فمن الأول : حديث ": يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم إلى أخره .

ومن الثانى : حديث " أعددت لعبادى الصالحين .

ومن الثالث : حديث " يد الله ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار "

- وهذه من علوم الروح فى الحق سبحانه .
- وترى الأحاديث التى ليست بقدسية وهى (الأحاديث النبوية) تتكلم عن ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام ، والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد .
- وفى ظلال الأحاديث القدسية التى خرجت ألفاظها مشعة بالنور من شفتى المصطفى صلى الله عليه وسلم فامتزجت فى مخارجها بالأحاديث النبوية المشرقة _ فهما من منبع واحد .. هو منبع الحق الطهور ..

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم " لا ينطق عن الهوى " وأوتى جوامع الكلم .

فى ظلال هذه الأحاديث نعيش لحظات وضيئة من التأمل والتذكر وجمال الغاية وحلاوة الإيمان .

١- ما أعده الله لعباده الصالحين
" أدخلوها بسلام آمنين "

النص

عن أبى هريرة _ رضى الله عنه _ قال :
قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ يقول الله :

" أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرأوا إن شئتم : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون "

وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرأوا إن شئتم " وظل ممدود " ، وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقرأو إن شئتم " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " .

* قال أبو عيسى الترمذى حديث حسن صحيح .....

قبس من أضواء الحديث القدسى :

إن هذا الحديث القدسى يفيض برحمات الخالق الرحمن الرحيم على عبادة الصالحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

وفى هذا الحديث الكريم نرى مزيجاً إيمانياً من النصوص الكريمة التى تهدى المسلمين إلى الطريق القويم ، وتبشرهم بأن لهم الحسنى وزيادة .. فهنا نجد الحديث القدسى حيث يتكلم الحق عز وجل ويروى عنه المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ يقول الله :
" ولا خطر على قلب بشر " ؛ ثم نجد الحديث النبوى فى لفظ المصطفى _ عليه السلام _ موجهاً للمؤمنين وناصحاً بقراءة آى الذكر الحكيم ليتعمق مدلول الحديث القدسى فى قلوبهم ، ويتمكن من نفوسهم .

وتجئ الآية القرآنية التى تؤكد دلالة الحديث القدسى : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ".

وهكذا يمضى بنا هذا النص الكريم فى مزج أسلوبى ودلالى بين الحديث النبوى والحديث القدسى والنص القرآنى العظيم وقد فرق

العلماء بين الحديث النبوى والحديث القدسى وبين القرآن الكريم فقال ابن حجر فى " الفتح المبين فى شرح الحديث الرابع والعشرين " .
الحديث إما نبوى وإما إلهى ويسمى قدسياً أيضاً :
" الحديث القدسى : هو الذى يرويه النبى _ صلى الله عليه وسلم _ عن ربه عز وجل ، والحديث النبوى : ما يكون كذلك .
• والفرق بين القرآن والحديث القدسى من عدة وجوه . وهى :
_ أن القرآن معجز ،والحديث القدسى ليس معجزاً .
_ والصلاة لا تكون إلا بالقرآن ، بخلاف الحديث القدسى .
_ أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسى فيجوز أن يكون اللفظ من النبى _ صلى الله عليه وسلم _ .
_ والقرآن لابد فيه من كون جبريل _ عليه السلام _ واسطة بين النبى _ صلى الله عليه وسلم _ وبين الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسى ، فهة ينقل إلينا عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ مع إسناده له عن ربه فهو من كلامه تعالى ، ونسبته إلى الرسول نسبة إنشاء لأنه المتكلم به .. ولذلك يقال فى رواية الحديث القدسى ، قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ فيما يروى عن ربه أو : قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله _ صلى الله عليه وسلم .
وفى الحديث القدسى الكريم يبشر الله عباده الصالحين بأنه أعد لهم فى الجنة ثواباً عظيماً يتضاءل بجانبه كل ما وقعت عليه عيونهم فى مرائى الوجود ومشاهدة الدنيا وزخارفها.
وهذا الثواب يعلو فوق الخيال المسموع _ وكل ما يروى عن مشاهد النعيم الدينى .. مهما بلغت منزلته حتى ذلك النعيم الذى عاش فيه الملوك بكل ما فيه من ترف مادى وسعادة دنيوية .. إن الذى أعده الله لعباده الصالحين يفوق كل ذلك النعيم الدنيوى القاصر .. المحدود ..
ويتجاوز النعيم الالهى آفاق الحس البصرى والسمعى ليعلن للجماعة المؤمنة التى تحملت المشاق فى سبيل العقيدة .. وصبرت على أداء العمل الصالح فى إتقان ، ولاقت العنت من المشركين والاضطهاد من المعاندين المخالفين .

إن الحق سبحانه وتعالى يبشر المؤمنين بأنه أعد لهم من الثواب ما لم يخطر على القلب البشرى من تخيلات وتصورات عظمى لصورة النعيم ، فكل ما تتجزه البشرية لإسعاد البشر ، وكل ما تفكر فيه من علوم مستقبلية ، ومن إنجازات عصرية يجد المؤمنون فى الجنة من النعيم صوراً أعظم وأنقى وأسمى من كل أحلام البشرية ، وتصوراتها المحدودة بالرغبات الدنيا ، والآفاق المسورة بقيود الزمان والمكان .

ومن عجائب هذا النعيم هذه الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، فظلها ممدود " وفاكهتها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة " وللمؤمنين ما يشاءون فيها _ ولدى الحق تبارك وتعالى المزيد _ فعطاؤه للمؤمنين بلا حدود _ ونوره فى السموات والأرض موجود ، وهو على كل شئ قدير .

٢- أهل الجنة المصطفون

النص :

يروى الأمام الترمذى فى باب " سورة الحج " جـ٢ قائلاً عن عمران _ هذه الآيات _ من أول سورة الحج .

" يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم _ إلى قوله تعالى _ ولكن عذاب الله شديد "

قال : أنزلت عليه هذه وهو فى سفر فقال :

" أتدرى أى يوم ذلك ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : ذلك يوم يقول الله لآدم : أبعث بعث النار : فقال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة ، فأنشأ المسلمون يبكون .

فقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة فقط ، إلا كان بين يديها جاهلية .

قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فأن تمت وإلا كملت من المنافقين .

وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة ، أو كالشامة فى جنب البعير .

ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، فكبروا .
ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، فكبروا .
قال : لا أدرى ، قال : الثلثين أم لا .
قال الترمذى حديث حسن صحيح .

قبس من أضواء الحديث

إن هذا الحديث القدسى الذى يرويه المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ عن ربه يوضح مكانة أمة محمد _ صلى الله عليه وسلم _ بين الأمم .. يوم القيامة _ يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

فى هذا اليوم العظيم تدنو الشمس من الرءوس _ ويبعث من فى القبور ويحصل ما فى الصدور ... ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

والمصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ يحاور أصحابه موضحــاً لهم مكانتهم عند ربهم .. ومآل الكافرين يوم القيامة .. حيث يقول عــز وجل مصوراً زلزلة الساعة .

" يوم ترونها تزهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد " .

والحديث يأتى فى قالب الأسلوب الحوارى رغبـــة فـــى تعليــم المسلمين أسلوب النقاش حسب النهج التربوى المثمر القائم على الإقناع والمحاورة ، والتشويق .

ويحرص المصطفى صلى الله عليه وسلم _ على إثارة كوامن المعرفة فى نفوس أصحابه وإيقاظ هواتف الإيمان والخشية فى قلوبــــهم فيتساءل بعد نزول الآيتين فى سورة الحج عليه تصوران أهـــوال يـــوم القيامة .

أتدرون أى يوم ذلك ؟.. أى أتعرفون قدر ذلك اليوم ، وأهـــوال ذلك اليوم ، ومقدار ذلك اليوم ..، وعاقبة ذلك اليوم .

.... وحرصاً من صحابة _ سول الله على اكتساب المعرفة الصحيحة _ أسلموا الأمر لله _ وقالوا : الله ورسوله أعلم .

وهذه الإجابة لا تلغى معرفة المسلمين باليوم الآخر _ فقد نزلت السور المكية وهى فى كثير من آياتها تذكر باليوم الآخر ، وتصور مشاهده ، وتصف أحوال أهل الجنة ومنازلهم ، وأحوال أهل النار ومنازلهم .

ولكن المسلمين على الرغم من معرفتهم بأحوال اليوم الأخر واستعدادهم لذلك بالعمل الصالح . نجدهم يرجون المزيد من المصطفى _ عليه الصلاة والسلام _ لأن الرسول لا يمتحنهم ولكن يوضح لهم ما خفى عنهم .. وهكذا يكون أدب التلقى عن العارفين ؛ والتحلى بحب المزيد من العلم والفضل والأدب عند المسلمين فى كل زمان وفى كل مكان .

ويروى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ ما يدور بين أبى البشر آدم وبين ربه عز وجل فى ذلك اليوم ، واختيار "آدم" عليه السلام ، فى هذا السياق يؤكد أن البشر أجمعين مسئولون يوم القيامة ومحاسبون _ فريق فى الجنة وفريق فى السعير _ يقول الله لآدم ابعث بعث النار ، أى أخرج من ذريتك الذين هم أهل النار ، وابعثهم إليها .

فيتساءل آدم عن مقدار أهل النار من ذريته .

فيقول الله له مبيناً أن أتباع الكفر كثيرون , وأنصار الشيطان يتضاعفون _ ولكنهم سيلقون فى الآخرة جزاءهم وهم الخاسرون .

يقول الله عز وجل محدداً مقدار أهل النار :

" تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار "

أى من كل ألف من البشر .. واحد فى الجنة .. وتسعمائة وتسعة وتسعون فى النار .

وقال القسطلانى ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار جميع الكفار وكل من يدخلها من العصاه ، فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافراً ، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً . وفى رواية أخرى عن البخارى ، " فقال النبى _ صلى الله عليه وسلم _ " من

يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد ،.. حين يدرك المسلمون هذه الحقيقة المفزعة _ التى تؤكد كثرة أهل النار خوفاً منهم من هذا المصير الرهيب .. حين يدركون ذلك يبكون خوفاً وطمعـــاً .. رهبة وفزعاً ، شفقة وجزعاً فيطمئنهم من بـــالمؤمنين رؤف رحيـم _ الرحمة المهداة والسراج المنير _ حيث يضع أمام المسلمين سبل النجاة، ويوضح لهم معالم الخلاص فى قوله " قاربوا وسددوا .. فإنها لم تكـــن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية ؛ أى أن الجاهلية مستمرة ، وأتبـــاع الشيطان موجودون يحاولون تضليل المؤمنين الذين قاربوا وســـددوا .. فالجاهلية تتعدد صورها وملامحها فى كل عصر ولكنها تلتقـــى حـول محور واحد هو البعد عن المنهج الربانى والتصور الذى وضحه المولى عز وجل فى القرآن الكريم فالبشر _ أبناء آدم _ منقسمون إلى ثـــلاث طوائف كما صور الحديث القدسى الكريم ، طائفة الجاهلية ، وطائفـــة النفاق ، وطائفة المؤمنين.. ، وأهل الجنة هم الطائفـــة المؤمنـــة وهـم المصطفون ، وهم الأخيار الذين صورهم النبـــى _ صلـــى الله عليـه وسلـم _ فى هاتين الصورتين اللتين تدلان على قلة الطائفة المؤمنة .. حيث يقول فى أسلوب محكم يســـميه البلاغيـون "أسـلوب القصـر" والتصوير الأدبى منتزع من البيئة العربية .. ويصلـــح لكـل البيئـات أيضاً.. حرصاً من المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ على الإقنـــاع والتأثير يقول وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابـــة ، أو كالشامة فى جنب البعير .

وفى رواية أخرى يقول : ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود .

ويبشر الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ أصحابه والمؤمنيـــن الذين يعملون الصالحات من أمته قائلاً : " أنى لأرجو أن تكونوا ثلـــث أهل الجنة ".

فيفرح المسلمون ويكبرون فرحين بهذه البشرى العظيمـــة بعـد البكاء والخوف من النار .. فهم أهل الجنة المصطفون وهم يوم القيامة الأعلون .

ويصل بهم المصطفى _ عليه السلام _ إلى ذروة الرجاء والفرح والغبطة حين يقول:" إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ".

فيكبر المسلمون مغتبطين بهذه المنزلة السامية والمكانة العظمى فى معية الحق الأعلى .. ذى الجلال والإكرام الذى أكرم حبيبه محمداً _ صلى الله عليه وسلم _ لوعده تعالى له فى قوله " ولسوف يعطيك ربك فترضى ".

فهل تدرك أمة الاسلام هذه المنزلة ؟ وهل يدرك المسلمون هذا الاختيار الألهى _ والحب النبوى _ أنهم الناجون الأعلون ، وهم أهل الجنة المصطفون .

٣- صلة وتماسك بنية المجتمع الإسلامى

النص :

يروى " البخارى " فى صحيحه نص الحديث القدسى الداعى إلى صلة الرحم فيقول :

حدثنا سليمان ، حدثنى معاوية بن أبى مزرد ، عن عمه سعيد بن يسار عن أبى هريرة _ رضى الله عنه _ عن النبى _ صلى الله عليه وسلم_ قال : " خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم ، فأخذت بحقو الرحمن ، فقال لها : مه ، قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى، يارب ، فذاك لك .

قال أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم .

" فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم".

وقد أخرج البخارى هذا الحديث القدسى فى كتاب التوحيد ، وفى كتاب الأدب ، وأخرجه مسلم فى "الأدب" والنسائى فى "التفسير".

وفى صحيح الترمذى يرد هذا الحديث فى الصيغة الأتية " عن عبد الرحمن ابن عوف _ رضى الله عنه _ قال : سمعت رسول الله _

صلى الله عليه وسلم _ يقول : " قال الله : " أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها من أسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ". وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

ويدعو هذا الحديث القدسى الكريم إلى تأصيل قيمة عظيمة من قيم الإسلام فى وجدان الناس . وهى صلة الرحم ، والحرص على الأخوة والتماسك الأسرى والاجتماعى ؛ وهذه القيمة الإسلامية الإنسانية والإجتماعية تعمل على توثيق الروابط بين أبناء الأسرة الواحدة فلا تتمزق روابط الأخوة ، ولا تتبدد هباء مشاعر الأبوة الحانية ، ولا تضيع فى زحام الحياة مشاعر البنوة المطيعة الحريصة على العلاقة المضيئة بين الأباء والأبناء .

ومن مظاهر صلة الأرحام :

بر الوالدين .. وذلك احترام لمشاعر الأبوين اللذين قدما شطراً كبيراً من حياتهما ومشاعرهما لأبنائهم ، وهم يطمعون إلى تحقيق السعادة لهؤلاء الأبناء .

والحرص على طاعة الآباء والأمهات مشروط بأن تكون هذه **الطاعة دائرة فى الفلك الإيمانى .. كما قال تعالى : " وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ".**

وقد أمر الحق سبحانه وتعالى بمعاملة الوالدين معاملة حسنة حيث يقول سبحانه :" وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا.. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما .. وقل لهما قولاً كريما .. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة .. وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا "

ومن مظاهر صلة الرحم الحرص على أخوة النسب ، وأخوة الدين ؛ والحرص على البنيان الأسرى ، لأن الأسرة هى لبنة الأساس فى البنيان الإجتماعى الذى يكون الجماعة المؤمنة ، ويعمل على اتحادها وتكامل وحدتها .

ومن مظاهر صلة الرحم مساعدة الأقارب الضعـــاف والفقـــراء ومد يد العون لهم استجابة للأمر الالهى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ". واستجابة لقول المصطفى _ صلـــى الله عليه وسلم _ :" مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثـــل الجســـد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمـــى ". وقوله عليه السلام :" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضـــه بعضا ".

وتأكيداً لهذه الصلة الإيمانية بين ذوى الأرحـــام يصـــور هـــذا الحديث القدسى " الرحم " تصويراً حسياً .. حيث تجئ صلة الرحم بعد إتمام الله لخلق الكون ، إشارة إلى أن هذه الصلة يترتب عليـــها حفـــظ الخلق وسلامته من الفساد والانقراض ، فماذا يبقى من وجه الحيـــاة إذا انقطعت الصلة بين أبناء البيت الواحد ، وإذا دب الخلاف والعداء بيـــن الأشقاء ؛ وإذا تعمقت جذور الخلاف بين أبناء العمومة والخئولة .

وفى الحديث يصور الأسلوب أهمية صلة الرحم حيـــن يـــروى الرسول عن عن ربه " خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحمـــة"، فأخذت بحقو الرحمن ، فقال لها : مه ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة .

وهذا التصوير يوضح قيمة من قيم المجتمع العربى يقرها التقليد الإسلامى فالحقو هو الإزار والخصـــر ، وشـــد الإزار ، فمـــن عـــادة المستجير أن يأخذ بذيل المستجار أو بطـــرف أو رداءه وإزاره وربمـــا أخذ بحقو إزاره ، مبالغة فى الاستجارة ، فكأنـــه يشـــير بـــه إلـــى أن المطلوب أن يحرسه ويذب عنه ما يؤذيه ، كما يحرس ما تحت إزاره ، ويذب عنـــه ، فإنه لاصق به ، لا ينفك عنه ، فاستعير ذلك للرحـــم _ كما يقول البيضاوى .

وقد وعد الله الرحم وعداً فيه بشارة وأمـــل .. وفيـــه ترغيـــب وترهيب حيث قال :" ألا ترضين أن أصل من وصلـــك وأقطـــع مـــن قطعك؟ . قالت : بلى ، يارب .. قال فذاك لك ".

ويقول النووى :" لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها معصية ، والصلة درجات بعضها أرفع من بعض ".

وفى حديث أبى بكر مرفوعاً "ما من ذنب أخرى أن يجعل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم"

وفى حديث يرويه ثوبان مرفوعاً " من سرة النساء فى الأجل ، والزيادة فى العمر ، فليصل رحمه ".

وأسلوب الحديث يجئ فى قالب الحوار ، تشويقاً للمسلم وترغيباً له ، وتعميقاً للمنهج التربوى فى النفوس . حتى تسمو لغة الحوار بين المسلمين ، وتنشأ بينهم الصلات الحسنة ، وكأن أسلوب الحديث القائم على الحوار جزء من المنهج الإسلامى فى ضرورة التواصل بين المسلمين ، وصلة الرحم تأتى فى مقدمة هذه الصلات التى تقوى بها الأمة الإسلامية ، وتتحد كلمتها ، وتصبح كما قال المولى _ عز وجل_ أمة واحدة .

الفصل السابع

صور من الإعجاز في الحديث النبوى

أولاً : محمد (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى فى كل شئ.

ثانياً : البشارات والنبوءات بمحمد (صلى الله عليه وسلم).

ثالثا : محمد (طبيب الإنسانية)

أولا : صور مضيئة من حياة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) **:**

الإضاءة الأولى : محمد (صلى الله عليه وسلم) **المثل الأعلى فى كل شئ :**

إن الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ هو المثل الأعلى فى كل شئ : فى الأخلاق ، ونقاء الأصول ، والشجاعة ، والصدق ، والفطانة، والبيان المشرق ، والسلوك الأمثل ، مصداقا لقول الله عز وجل :" لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ".

وقد أفاض العباقرة والفلاسفة والمفكرون والفقهاء فى تبيان عظمة المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ وفى التنقيب عن أسرار البيان النبوى ، والكشف عن سمات الشخصية المحمدية .. قولا .. وسلوكا.. وفعلا.. وتقريرا.. وهيئة.. وصفة.. .

والمفكر الكبير الأستاذ/ عباس محمود العقاد يتوج حياته الخصبة الفياضة بالفكر الموسوعى الإنسانى ، بعبقرياته التى رصد فيها جوانب العظمة فى الشخصية الإسلامية .

وفى مقدمة هذه العبقريات .. تأتى عبقرية محمد ، لتقدم رؤية عميقة نابعة من جلال الإسلام وجماله وهيبته لشخصية المصطفى (صلى الله عليه وسلم) . ويقول العقاد :

" إن علامات الرسالة الصادقة هى عقيدة تحتاج إليها الأمة ، وهى أسباب تتمهد لظهورها ، وهى أى الرسالة رجل يضطلع بأمانتها فى أوانها ، فإذا تجمعت هذه العلامات فماذا يلجئنا إلى علامة غيرها ؟ وإذا تعذر عليها أن تتجمع فأى علامة غيرها تنوب عنها ، أو تعوض ما نقص منها ؟

وقد خلق بن عبد الله ليكون رسولا مبشرا بدين ، وإلا فلأى شئ خلق ؟ ولأى عمل من أعمال الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوفيقات ؟ وكل هاتيك المناقب والصفات ؟

لو اشتغل بالتجارة طول حياته كما أشتغل بها فترة من الزمن لكان تاجرا أمينا ناجحا موثوقا به فى سوق التجار والشراء ، ولكن التجارة تشغل بعض صفاته ، وثم تظل صفاته العليا معطلة لا حاجة إليها فى هذا العمل مهما يتسع له المجال .

ولو اشتغل زعيما بين قومه لصلح للزعامة ، ولكن الزعامة لا تستوفى كا ما فيه من قدرة واستعداد ، فالذى أعده له زمانه ، وأعدته له فطرته هو ا لرسالة العالمية دون سواها ، وما من أحد قد أعد فى هذه الدنيا لرسالة دينية إن لم يكن محمد قد أعد لها أكمل أعداد[1] .

وفى كتاب " حياة محمد " للدكتور/ محمد حسين هيكل ، تتجلى الروح العلمية الدقيقة فى الدفاع عن رسالة الإسلام ، وعن سيرة المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ ويبدأ مقدمة كتابة بهذا الاستهلاك الرائع ، وهذا الوصف الدقيق لمكانة المصطفى_صلى الله عليه وسلم_ فى نفوس البشرية المؤمنة . يقول :

"محمد عليه الصلاة والسلام" بهذا الاسم الكريم تنطق ملايين الشفاه ، وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات وهذه الشفاه والقلوب تنطق وله تهتز منذ أربعمائة وألف سنة إلا خمسين.

وبهذا الاسم الكريم تنطق الشفاه ، وتهتز ملايين القلوب إلى يوم الدين ، فإذا كان الفجر من كل يوم وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهاب المؤذن بالناس أن الصلاة خير من النوم ، ودعاهم إلى السجود لله والصلاة على رسوله ، فاستجاب له الألوف والملايين فى مختلف أنحاء المعمورة يحيون بالصلاة رحمة الله وفضله متجلين فى مطلع كا نهار .

وإذا كانت الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ، ثم لصلاة العصر فالمغرب فالعشاء ، وفى كل واحدة من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمدا عبد الله ونبيه ورسوله فى ضراعة

[1] عبقرية محمد للعقاد ، وأنظر : مطلع النور للعقاد ، المجلد السابع لأعمال العقاد الكاملة ،ص ٢١٥ - ٢١٦.

وخشية وإنابة ، وهم فيما بين الصلوات الخمس ما يكـــادون يســمعون اسمه حتى تجف قلوبهم بذكر الله وبذكر مصطفاه .

كذلك كانوا وكذلك سيكونون حتى يظهر الله الدين القيــم ويتــم نعمته على الناس أجمعين[١] .

ولقد أشاد المفكرون الأجانب والمستشرقون بعظمة الشخصيـــة المحمدية وسمو الرسالة الإسلامية . يقول (توماس كارليل) : فى كتابه " محمد المثل الأعلى " :" لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كــذب ، وأن محمد خداع ومزور ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع عن مثل هـــذه الأقوال السخيفة المخجلة .

فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة أثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقـــهم الله الــذى خلقنا[١] . أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاشت بـــها ومـــاتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فا استطيع أن أرى هذا الرأى أبدا .

ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلـــق الله هــذا الــرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبــول ، فـــما النـــاس إلا بلـــه ومجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بـــها أن لا تخلق .

فوا أسفاه ما أسوأ هذا الزعم ، وما أضعـــف أهلـــه ، وأحقـــهم بالرثاء والمرحمة .

ثم يتابع (توماس كارليل) تفنيد مزاعم المكذبين والجاحدين فـــى أسلوب ساخر ولغة أدبية راقية ، إذ يقول : " وبعد .. فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات أن لا يصدق شيئا البته من أقوال أولئك

---

[١] حياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ د/ محمد حسن هيكل ص ٢١ .

[١] المسلمون الآن يزيدون عن ألف مليون مسلم ، فقد زاد فى نحو مائتى سنة أكثر من ٨٠٠ مليون مسلم وسبحان الله العظيم .

السفهاء ، فإنها نتائج جيل كفر وعصر جحود وإلحاد ، وهى دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر ، وموت الأرواح فى حياة الأبدان ، ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا وألأم .

الرجل الكاذب _ لا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب ، فكيف يوجد لدينا دينا : أى كيف يبلغ دينا عن ربه ؟

* كلا.. ما محمد بالكاذب ، ولا الملفق ، وإنما هو قلعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فإذا هى شهاب قد أضاء العالم أجمع ، وذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين [ص١٤ "محمد المثل الأعلى] .

لقد كان محمد _ صلى الله عليه وسلم _ متفردا بنفسه العظيمة ، وبحقائق الأمور والكائنات ، لقد كان الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ، وروافقه ومباهره ، لم يك هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه ، فكأن لسانه حال ذلك السر يناجيه (ها أنا ذا) ، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهى مقدس .

وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم فكل الآذان يرغمها صاغية ، وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء ، وكل قول جفاء ص ٢٨ .

الإضاءة الثانية : البشارات والنبوءات بمحمد(صلى الله عليه وسلم) :

إن الدفاع السابق عن المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _من أديب وفيلسوف ومؤرخ إنجليزى.. يدين بالمسيحية.. ووجدانه متفتح على ما فى الإسلام من معالم مضيئة وما فى شخصية محمد _ صلى الله عليه وسلم _ من صفحات مضيئة وصور ناطقة بالمجد والعظمة والخلود......

هذا الدفاع ينطلق من فهم لنصوص الكتاب المقدس.. وابتعاد عن دائرة التعصب .. والإنغلاق... و الشيخ (أحمد ديدات) الداعية الإسلامى الكبير ، والدارس المتخصص فى دراسة " الإنجيل " .. يقول مؤكدا البشارة بالنبى محمد _ صلى الله عليه وسلم _ :

" جاء فى سفرا التثنية على لسان موسى عليه السلام البشارة بالنبى محمد _ صلى الله عليه وسلم _ : أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ((سفر التثنية :١٨ : ١٨ ، ١٩)) .

وقد أستقر رأى الشيخ (ديدات) بعد مناظرة طويلة مع علماء الدين المسيحى واليهودى.. وإقناعهم على أن النبى المراد هنا فى هذه النبوءة هو : النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) .

لان العرب واليهود ينحدران من سلالة أبراهيم عليه السلام ، وهما ينسبان إلى (إسماعيل ، وإسحاق..) ، وأن أبناء أحدهما هم أخوة لأبناء الآخر ، ويقول الكتاب المقدس مؤكدا هذه الحقيقة (وأما جميع إخوته يسكن) سفر التكوين ١٦ / ١٢ .

وعند وفاة إسماعيل تقول التوراة : وهذه سنو حياة إسماعيل ، مائة وسبع وثلاثون سنة وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه ، وسكنوا من حويله ، إلى أشور التى أمام مصر حينما تجئ نحو آشور أمام جميع إخوته نزل . (سفر التكوين ٢٥ / ١٧ ، ١٨).

إن أبناء إسحاق هم إخوة لأبناء إسماعيل ، وبنفس النمـــط فـــإن محمدا من وسط إخوة بنى إسرائيل , ذلك لأنه من سلالة إسماعيل بـــن إبراهيم ، هذا بالحقيقة كما تنبئ به النبوءة أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم

وهناك.. تذكر النبوءة بوضوح أن النبى الآتى الذى هـــو مثـــل موسى والذى سيظهره الله ليس من " أبناء بنى إسرائيل " ولا من " بين أنفسهم " ولكن " من وسط إخوتهم " من ثم كان محمدا هو " من وســـط إخوتهم " .

وأن المراد من (إخوتهم) أبنـــاء العمومـــة ، لقـــول التـــوراة ، وأوصى الشعب قائلا : " أنتم مارون بتخوم إخوتكم بنوعيسو الســـاكنين فى سعير " .

نبوءة أخرى : تبشير باعتكاف المصطفى (صلى الله عليه وسلم) :

اعتكاف محمد وتعبده فى غار حراء المعروف اليـــوم " بجبـــل النور " واستجابته لبدء التنزيل وحيا عن طريق جبريل الملاك : إنمـــا هو تحقيق وإنجاز لنبوءة فى سفر أشعياء (١٢ : ٢٩) هذا نصها :

" أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ، ويقال له اقرأ هذا فيقـــول : لا أعرف الكتابة والمراد بالكتابة هنا : هو القرآن ..، والترجمة الصحيحة لعبارة لا أعرف الكتابة هى : ما أنا بقارئ " .

ومن ألزم اللزوميات أن تعلم أنه لم تكن هناك نسخة عربية من التوراة موجودة فى القرن السادس الميلادى عندما عاش محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ودعا إلى سبيل الله .

وكان محمد _ صلى الله عليه وسلم _ أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وما علمه أحد كلمة ، كان معلمه خالقه لقوله ســـبحانه (ومـــا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى)[1] .

ويقول الفيلسوف البريطانى : " برناردشو ":" إنـــى أعتقـــد أن رجلا مثل محمد لو تسلم بزمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه لتم لـــه

---

[1] ماذا يقول الكتاب المقدس ص ٤٠ ، الشيخ أحمد ديدات .

النجاح فى حكمه ، ولقاد العالم بأسره إلى الخير ، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة " .

والقرآن الكريم يأتى بهذه البشارات فى بيان رائق وأسلوب حكيم فعندما وقف إبراهيم _ علي السلام _ وهو يقيم القواعد من البيت رفع يديه إلى السماء وقال : " ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم " . واستجاب الله لدعوة إبراهيم _ عليه السلام _ وبعث النبى الخاتم .

وفى التوراة والإنجيل تأتى البشارة بمحمد _ صلى الله عليه وسلم _ ويصور القرآن هذه البشارة المعجزة فى سورة الأعراف يخاطب موسى عليه السلام :" الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكرويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم .. " .

وعيسى _ عليه السلام _ بشر برسالة محمد ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (وإذ قال عيسى أبن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد) . " الآية ٦ من سورة الصف "

وقد ذكرت أوصاف الرسول محمد _ صلى الله عليه وسلم _ بدقة فى التوراة والإنجيل بحيث يمكن لأحبار اليهود ورهبان النصارى بأن يعرفوا رسول الله دون أن يدلهم أحد عليه وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون "[1] .

وبعض العلماء قد أفاض الله عليه ووفقه إلى الإتيان بالنبوءات والبشارات بمحمد _ صلى الله عليه وسلم _ فى جميع الكتب والأسفار الدينية العالمية .

---

[1] محمد رسول الله ص٩ – ١٠ ، الشيخ محمد متولى الشعراوى .

ومن هؤلاء الباحثين العلماء " مولانا عبد الحق قد يارتى " ولــه كتاب ألفه باللغة الإنجليزية وسماه (محمد فى الأسفار الدينية العالمية) واستفاد من مقارناته ومناقضاته بمعرفته للفارسية والهنديــة والعبريــة والعربية ، وبعض اللغات الأوروبية ،ولم يقنــع فيــه بكتــب التــوراة والإنجيل ، بل عمم البحث فى كتب فارس والــــهند وبـــابل القديمـــة ، وكانت له فى بعض أقواله توفيقات تضارع أقوى ما ورد من نظائرهـــا فى شواهد المتدينين كافة .

ويقول الأستاذ العقاد "ولا نذكر أننا أطلعنا على أقوى منها فــــى روايات الأقدمين أو المحدثين من أتباع الديانات الأولــــى أو الديانـــات الكتابية

يقول الاستاذ (عبد الحق) :" إن اسم الرسول العربى " أحمد " بلفظه العربى فى " الساما فيدا " من كتب البراهمة وقد ورد فى الفقــرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثانى ونصـــــها (إن أحمــد تلقــى الشريعة من ربه وهى مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس) " .

وفى مواضع كثيرة من الكتب البرهمية يرى المؤلف أن النبـــى محمد _ صلى الله عليه وسلم _ مذكور بوصفه الذى يعنـــى " الحمــد الكثير والسمعه البعيدة " ومن أسمائه الوصفية اسم "ستشراقا" الذى ورد فى كتاب "الأثار فافيدا" حيث يشار إلى حــــرب أهــل مكــة وهزيمــة العشرين والستين ألفا مع تسعة وتسعين ".

وهم على تقدير المؤلف عدة أهل مكة ، وزعماء القبائل الكبـــار ووكلائهم الصغار ، كما كانوا يوم قاتلوا النبى _ صلوات الله عليه .

وكذلك صنع الأستاذ (عبد الحق) بكتب زاراد شت التى اشتهرت باسم الكتب المجوسية ، فاستخرج من كتاب "زندافستا" نبوءة عن رسول يوصف أنه (رحمة للعالمين) "سوشيانت" ، ويتصدى له عـــدو يســـمى بالفارسية القديمة "أبا لهب" ، ويدعو هذا الرسول إلى إله واحد لم يكـــن له كفؤا أحد ((هيج جيز باونمار)) وليس له أول ولا آخر ولا ضريــــع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم لا صاحبة ولا ولـــد ولا أبـــن ولا

مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة (جـز آختـاز وانجـام ودشمن ومانند ويار وبدر ومادر وزن وفرزند وحاى سوى تـن آسـا وتانى ورنك وبوى استه) .

وهذه هى جملة الصفات التى يوصف بها الله سبحانه فى القرآن الكريم " أحد صمد ليس مثله شئ ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفـوًا أحد ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

وقد أشار المؤلف نفسه بعد أن أتى بالبشارات والنبـوءات فـى الديانات الآسيوية الكبرى إلى فقرات من كتب العهد القديم والعهد الجديد فقال :

" إن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ هو المقصود بما جاء فـى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفى التثنية " جاء الـرب مـن سـيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القـدس ومن يمينه نار شريعة لهم ، وقال : إن الشواهد القديمة جميعـها تنبـئ عن وجود فاران فى مكة .

*قد قال المؤرخ (جيروم ، واللاهوتى يوسبيوس) :

" إن فاران بلد عند بلاد العرب على مسيرة ثلاثـة أيـام إلـى الشرق من أيلة .

وفى الإصحاح الخامس من سفر (أشعيا) تأتى نبـوءة وبشـارة النبى محمد _ صلى الله عليه وسلم _ تقول البشارة :

" ويرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالغلبة يأتون ليس فيهم رازح ولا عاثر ، ولا ينعسون ولا ينـامون ولا تنحل حزم أحقابهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم ، وسهامهم مسـنونة ، وجميع قسيهم ممدودة ، حوافر خيلهم كأنها الصوان وبكراتهم كالزويعة"

وهذه النبوءة عن رجل يأتى من غـير أرض فلسـطين ، ولـم تصدق على أحد عير رسول الإسلام محمد _ صلى الله عليه وسلم _ .

وتلحق بهذه النبوءة أيضا نبوءة من الإصحاح التاسع عشر فـى سفر "أشعيا" يذكر فيها إيمان مصر بالرسول المنتظر :

" وفى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فـــى وســط أرض مصـــر وعمود للرب عند تخمها ، فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر ، لأنهم يصرخون إلى الرب بسبب المضـــايقين ، فيرســل لـــهم مخلصا ومحاميا وينقذهم فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريـــون الرب فى ذلك اليوم ، ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للـــرب نــذرن ويوفون به ، ويرب الرب مصر ضاربا فشافيا ، فيرجعون إلى الـــرب فيستجيب لهم ويشفيهم ، وفى ذلك اليوم تكون سكة مصر إلـــى آشـــور فيجئ الآشوريون إلى مصر والمصريون إلى آشور ، ويعبد المصريون مع الآشوريين ، وفى ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثا لمصر ، ولآشـــور بركة فى الأرض بها يبارك رب الجنود قائلا : مبارك شعبـــى مصـــر وعمل يدى آشور وميراثى إسرائيل ".

فالذى حدث من قدوم أهل العراق إلى مصر وذهاب أهل مصر إلى العراق إنما حدث فى ظل الدعوة الإسلامية ، ولن تتوحـد العبـادة بينهم من قبل تلك الدعوة وإن النبوءة ستتم غدا على غير ما يهواه بنـو إسرائيل : إذ تكون البركة لمصر وآشور ولا تكون إسرائيل إلا لاحقـة بكلتا الأمتين ، لا حول لها ولا قوة بمشيئة الله سبحانه "[1].

ووقائع التاريخ الإسلامى ومشاهد السيرة النبوية العطرة تـترجم هذه النبوءات إلى شواهد صادقة ، فقد تعرف (بحيرى) الراهب ، على الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ وهو صبى مع عمه أبى طالب فـــى رحلة الشام ، وقال لأبى طالب :

"أرجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود ، فوالله لئـــن رأوه وعرفوا عنه ما عرفت ليبغونه بالشر ، إن ابن أخيك هذا ســيكون له شأن عظيم " .

وحين سأل رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ اليهود عن ابن سلام . قال ما تقولون فى ابن سلام ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا الجليل . قال ابن سلام : اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول

[1] انظر : الأعمال الكاملة للأستاذ العقاد المجلد السابع ص ٢١٨ - ٢٢٤ .

الله . والله إنى لأعرف أن محمد رسول الله ، كمعرفتى لابنى ومعرفتى لمحمد أشد .

وأن يهود المدينة كانوا يعرفون الزمن الذى سيكلف فيه محمد _ عليه الصلاة والسلام _ بالرسالة ، ولذلـــك كـــانوا يقولـــون لـــلأوس والخزرج :

" أتى زمن رسول سنتبعه ونقتلكم به قتل عاد وإرم " .

****

الإضاءة الثالثة : محمد طبيب الإنسانية : عقلا وجسدا وروحا :

إن المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ هو طب القلوب وشفاؤها وعلاج النفوس ودواؤها . وقد شرع لنا فيما بلغه عن ربه ، ما يهدى النفوس وما يخرجها من الظلمات إلى النور .

وقد أيده الله بالمعجزات الحسية .. والعقلية .

وبيانه الشريف يتضمن إرشادات طبية تعالج الأمراض الجسمية.. والعقلية.. والروحية والطب النبوى شاهد على ذلك .

ولا تقتصر أحاديثه _ صلى الله عليه وسلم _ الطبية على فرع من علم الطب بدون غيره بل إنه _ صلى الله عليه وسلم _ تحدث فى فروع الطب المختلفة منها :

(أ) الطب الوقائى . (ب) الطب العلاجى .

(ج) الطب النفسى . (د) أصول علم الصحة .

(هـ) علم الوراثة .

وهناك كتب عديدة فصلت القول فى (الطب النبوى) وشرحت الأحاديث النبوية التى تعالج الأمراض المتعددة.. وتوضح أنواع الطب النبوى.. التى تتفق مع تطور أنواع الطب فى العصر الحديث .

ومن هذه الكتب كتاب (الطب النبوى) لشمس الدين محمد بن أبى بكر ابى قيم الجوزية ، وهو كتاب عميق المادة ، غزير العلم يجب على كل مسلم قراءته وبخاصة الأطباء فى العصر الحديث .

يقول صاحبه فى مقدمته :

"أما بعد... فهذه فصول نافعة فى هديه_صلى الله عليه وسلم_ فى الطب الذى تطبب به ، ووصفه لغيره ، نبين ما فيه من الحكمة التى تعجز عقول أكبر الأطباء عن الوصول إليها..

والمرض نوعان : مرض القلب ، ومرض الأبدان ، وهما مذكوران فى القرآن الكريم " .

وهذا التقسيم فيه من الحكمة الإلهية والإعجاز الكثير ، ما لم يتوصل إليه الأطباء إلا حديثا فى منتصف القرن الثامن عشر ، فقد قسمت الأمراض عموما إلى قسمين :

١ _ الأمراض العضوية :

وهى الأمراض التى تنتج من عدم أداء أى جزء من أجزاء الجسم وظيفته كاملا ، أو توقفه عن العمل بالكلية ، أو تنتج من دخول ميكروبات مختلفة الأنواع إلى الجسم ، وتصيب أى عضو فيه بالتلف ، وينتج عن ذلك أعراض المرض وكل مرض عضوى له أعراض وتاريخ ومواصفات ومضاعفات خاصة به ، بحيث يمكن التفريق بين الأمراض العضوية ، وتشخيص كل منها .

وهذا هو المقصود بمرض الأبدان ، كما ذكره الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ وأمثال هذه الأمراض : "الشلل ، والدرن ، والصفراء ،... إلخ "

٢ _ الأمراض النفسيه :

وهى فى الحقيقة أمراض متنوعة وكثيرة جدا ، يشعر بها المريض ، وبالكشف عليه بواسطة الطبيب مع الاستعانة بجميع الأبحاث اللازمة ، مثل الأشعة والتحاليل المختلفة ، يوجد المريض فى حالة طبيعية أى : عدم وجود مرض عضوى بالجسم .

وهذه الأعراض للمرض النفسى تنتج عن مؤثرات خارجية فى الحياة العامة مثل الخوف ، والشك ، وكثرة الإجهاد ، والقلق ، ... إلخ.

وهذا هو مرض القلوب ، كما ذكره الرسول _ صلى الله عليه وسلم _.

ومرض القلوب يقسم إلى : مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغى ، وهذا التقسيم هو ما ذهب إليه علماء النفس فى أحدث النظريات النفسية فى العصر الحديث .

وفى مسند الإمام أحمد ، من حديث زيادة بن علاقة عن أسامة بن شريك قال :" كنت عند النبى _ صلى الله عليه وسلم _ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال : نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع لها شفاء غير داء واحد قالوا : ما هو ؟ قال : الهرم ".

ومن أهم القضايا الطبيعية التى أثارها كتاب (الطب النبوى) وعلى كل مسلم غيور على دينه ، مؤمن بحضارة الإسلام ، أن يطلع على النصوص النبوية التى تعالج كثيرا من أمراض الأبدان ، وأمراض القلوب .

ومن ذلك ما جاء فى كتاب (الطب النبوى) :

١- هدى النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الوقاية من "التخمة" .
٢- تقسيم الأمراض ، ومراتب الغذاء .
٣- أنواع علاج النبى _ صلى الله عليه وسلم _ للمرض .
٤- العلاج بالأدوية الطبيعية.
٥- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج الحمى .
٦- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى الطاعون وعلاجه والوقاية منه .
٧- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى داء الاستسقاء وعلاجه .
٨- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى العلاج بشرب العسل والحجامة والكى .
٩- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى دفع ضرر الأغذية والفاكهة والوقاية من ذلك .
١٠- هدى النبى _صلى الله عليه وسلم_ فى علاج الرمد "طب العيون".
١١- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج " الصرع ".
١٢- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج " الصداع وبيان أسبابه " .
١٣- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى الوقاية من الأمراض المعدية بطبعها ، وإرشاد الأصحاء إلى مجانبة أهلها ، مثل الجذام وغيره .
١٤- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج الأورام .
١٥- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج السم .
١٦- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج داء "الحريق وإطفائه " .

١٧- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى حفظ صحة العين .
١٨- الكلام عن حقيقة النوم ، وأنواعه ، وفوائده ، ومضاره .
١٩- تبير الحركة والسكون " الرياضة وأنواعها " .
٢٠- هدى النبى _ صلى الله عليه وسلم _ فى علاج الكرب والهم والغم والحزن .

* وهذا الهدى النبوى فى الطب لا يلغى الاشتغال بعلم الطب بل لابد من الفقه فى هذا العلم ، والإطلاع على أسراره وتعلمه حسب تطور العصر ، فى ضوء الطب النبوى ، لأن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ دعا إلى ذلك فقد ذكر مالك فى موطئه عن زيد ابن مسلم " أن رجلا فى زمن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ جرح فاحتقن الدم وأن الرجل دعا رجلين من بنى أغار فنظرا إليه . فزعم أن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ قال لهما : أيكما أطب ؟ فقالا : أو فى الطب خير يا رسول الله ؟ فقال : أنزل الدواء الذى أنزل الداء ".

ففى هذا الحديث : أنه ينبغى الاستعانة فىكل علم وصناعة بأحذق من فيها فالأحذق : فإنه إلى الإصابة أقرب"[1] .

ورواية أبو داود والنسائى وابن ماجة من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن".

هذا الحديث يتعلق به ثلاثة أمور: أمر لغوى، وأمر فقهى، وأمر طبى .
فأما اللغوى :

فالطب "بكسر الطاء" فى لغة العرب يقال على معان منها :
(أ) الإصلاح : يقال طببته إذا أصلحته ، ويقال له طب الأمور ، أى له لطف وسياسة . قال الشاعر :

وإذا تغير من تميم أمرها ** كنت الطبيب لها برأى ثاقب

(ب) الحذق : قال الجوهرى : كل حاذق طبيب عند العرب . وقال أبو عبيد : أصل الطب : الحذق بالأشياء ، والمهارة بها ، يقال للرجل :

[1] الطب النبوى ، ص ١١١ - ١١٢ .

طب وطبيب ، وإذا كان كذلك ، وإن كان فى غير عـــلاج المريـــض ، وقال غيره : رجل طبيب : أى حاذق ، سمى طبيبا لحذقه وفطنته ، قال علقمة :

فإن يسألونى بالنســـاء فـــإننى ** خبير بـــأدواء النساء طبيـــب
إذا شاب رأس المرء أوقل ماله ** فليس له فى ودهـــن نصيـــب

(جـ) العادة : يقال ذلك ليس بطبى ، أى عادتى : قال فروة بن مسبك

فما إن طــبنا جبن ، ولكـــن ** منايـــانـــا ودولـــة آخـــريـــنا

(د) السحر : يقال : رجل مطبوب ، أى مسحور .

وفى الصحيح من حديث عائشة : لما سحرت يهود رســـول الله _صلى الله عليه وسلم_ وجلس الملكان عند رأسه وعند رجليه ، فقـــال أحدهما : ما بال الرجل ، قال الآخر : مطبوب ، قال : من طبه ؟ قال: فلان اليهودى .

* قال أبو عبيدة : إنما قالوا للمسحور مطبوب : لأنـــهم كنـــوا بالطب عن السحر ، كما كنوا عن اللديغ فقالوا : سليم تفاؤلا بالسلامة ، وكما كنوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التى لا ماء فيها ، فقالوا : مفـــازة تفاؤلا بالفوز من الهلاك .

والطب مثلث الطاء ، فالمفتوح الطاء : هو العـــالم بـــالأمور ، وكذلك الطبيب يقال له : طب أيضا ، و"الطب" بكسر الطاء فعل الطبيب و"الطب" بضم الطاء اسم موضع .

وقوله _ صلى الله عليه وسلم _ من تطبب " ولم يقل " من طب لأن لفظ التفعل يدل على تكلف الشئ والدخول فيه بعسر وكلفـــة وأنـــه ليس من أهله كتحلم وتشجع ، وتصبر ، ونظائرها .

وأما الأمر الشرعى : فإيجاب الضمان على الطبيب الجـــاهل ، فإذا تعاطى علم الطيب وعمله ، ولم يتقدم له به معرفـــة ، فقـــد هجـــم بجهله على إتلاف الأنفس ، وأقدم بالتهور على مالم يعلمه ، فيكون قـــد غرر بالعليل ، فيلزمه الضمان لذلك ، وهذا إجماع من أهل العلم "[1]

---
[1] الطب النبوى ، ص ١١٣ - ١١٦ .

وأما الأمر الطبى فالحديث النبوى الشريف يؤكد على ضـــرورة إتقان علم الطب ، ومتابعة أحداث تطوراته.. ولابد أن يعـــرف النـــاس عنه ذلك وما هو نعرفه فى العصر الحديث بضرورة اعتماده فى هيئـــة رسمية ، وقيل : نقابة الأطباء أو غيرها ، وكذلك ضـــرورة حصولـــه على شهادة طبية من جامعة متخصصة معروفة لأن هذه الأمور هـــى مقياس معرفة الطبيب ،والشهادة له ، بصحة ممارسته لمهنة الطب .

والذى يعضد هذه المقومات يتحمل وزر ما أقدم عليه ويعـــاقب حسب مواد القانون الخاص بذلك .ومن مظاهر الإعجاز العلمـــى فـــى الحديث النبوى الشريف إرشاده إلى ممارسة أنواع عديدة مـــن الطـــب منها :

أولا : الطب الوقائى . ثانيا : الطب العلاجى .

ثالثا : الطب النفسى .

وهذا الإعجاز العلمى يمتزج بالأسلوب الفنى والأداء الجمالى فى الحديث النبوى الشريف ، لأن المصطفى _ صلىالله عليه وسلم _ أوتى جوامع الكلم ..

أولا : الطب الوقائى :

وهو فرع العلم الذى يبحث فى وسائل وقاية الإنسان من المرض وحمايته من الإصابة والإبتعاد به عن كل ما يسبب المرض .

وللطب الوقائى أسس يقوم عليها ومنها :

النظافة .. والمصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ دعا إلـــى النظافـــة ، وحث عليها حتى صارت عبادة مـــن خـــلال الاســـتعداد للصـــلاة .. وفرضيته الوضوء .. حيث يقول : الطهر شطر الإيمان .. والحمـــد لله تملأ الميزان .. الحديث ويقول المصطفى _ صلى الله عليه وســـلم _ : لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه خمس مرات كل يوم هل يبقى مـــن درنه شئ ؟ فقالوا : لا يبقى من درنه شئ ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " .

ويقول عليه السلام : " إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل ".

ويقول : " حق الله على كل مسلم أن يغتسل فى سبعة أيام يومـــا يغسل فيه رأسه وجسده .." .

ويحث المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ على نظافة الموارد ووقايتها وبخاصة ما يخص الأكل والشرب منها : يقـــول الرســـول _ صلى الله عليه وسلم _ : أتقوا الملا عن الثلاث : البراز فى المـــوارد وقارعة الطريق ، والظل ".

ولو استجاب الناس جميعا لهذا الحديث لما ظـــهرت الأمـــراض المتوطنة فى العالم ، ولما انتشرت الأوبئة فيه إطلاقا .

ومن أســـباب الوقايـــة المحافظـــة علـــى ســـلامة المـــأكولات والمشروبات والحرص على عدم تعرضها للأوبئة والجراثيـــم . يقـــول عليه السلام : " غطوا الإناء ، وأكئوا السقاء ، وأطفئوا السراج ، فـــإن الشيطان لا يحل سقاء ، ولا يفتح بابا ، ولا يكشف إناء ، فإن الفويســـقة تضرم على أهل البيت بيتهم ".

ومن مظاهر الطب الوقائى :

١- تحريم الخمر .

٢- عدم الإفراط فى الأكل والشرب .

٣- الدعوة إلى ممارسة الرياضة البدنية حرصا على ســـلامة الجســـد ، لأن العقل السليم فى الجسم السليم ، ويقول عليه السلام : "حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى .

٤- الحجر الصحى : يقول عليه السلام :" إذا سمعتم بالطاعون بـــأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فـــلا تخرجـــوا منـــها " ، ويقول :" فرمن المجذوم فرارك من الأسد" .

ويذكر عنه _ صلى الله عليه وسلم _ أنه قال :" كلم المجذوم ، وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين ".

وفى سنن ابن ماجة من حديث ابن عباس أن النبى _ صلى الله علي وسلم _ قال : لا تديموا النظر إلى المجذومين .

وهذه الأحاديث التى تحذر من مرض "الجذام" وتكشـــف عـــن خطره ، وتنبه الناس إلى ضرورة الوقاية منه.. تدل على أن المصطفى

_ صلى الله عليه وسلم _ لا ينطق عن الهوى ، وانه مؤيد من قبل الله _ عز وجل _ وأن أحاديثه الشريفة تتضمن إعجازا لغويا.. وعلميـــا.. كما تقر بذلك النصوص التى تشهد بصحة مـــا يذهــب إليــه العلمــاء المتخصصون فى الطب فى العصر الحديث .

فـــ"الجذام" علة رديئة تحدث من انتشار المـــرة الســـوداء ، أى وباء هذا المرض فى البدن كله فيفسد مـــزاج الاعضـــاء ، وهيئتـــها ، وشكلها ، وربما فسده فى آخره وأوصالها حتى تتآكل الأعضاء وتسقط ويسمى داء الأسد . وفى هذه التسمية ثلاثة أقوال للأطباء :

أولها : أنها لكثرة ما يتعرى الأسد : أى أن هذا المرض يصيب الأســـد كثيرا .

الثانى : أن هذه العلة تجهم وجه صاحبها ، وتجعله فى سحنة الأسد .

الثالث : أن مريض الجذام يفترس من يقربه أو يدنو منه بدائه ، افتراس الأسد .

وقد نبه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى الوقاية من هـــذا المرض الخبيث ، لأن هذه العلة عند الأطبـــاء مـــن العلـــل المعديـــة المتوارثة ، وتعدى برائحتها ، فالذى يخالط المجذوم ، ومريض الســـل يصيبه المرض من رائحتها ، فالنبى _صلى الله عليه وســـلم _ لكمـــال شفقته على الأمة ونصحه لهم ، نهاهم عن الأســـباب التـــى تعرضـــهم لوصول العيب والفساد إلى أجسامهم وقلوبهم .

وقد سمى هذا المرض بداء الأسد ، لأنه _ إضافة إلى ما ســـبق _ يحول وجه المريض إلى هيئة تشبه الأســـد ، لكـــثرة وجـــود أورام صغيرة ، وتجعدات فى الوجه ، وخطورة هذا المرض تتمثل فى إتلاف الأعصاب المتطرفة ، فيفقد المريض حساسية الأطراف أولا ثم تتساقط الأصابع تدريجيا ، وهو من الأمراض المعدية التى تجئ عدواها مـــن التنفس مع المخالطة الطويلة .

ومن مظاهر الوقاية من "الجذام" فى العصر الحديث أن جميع مرضى الجذام يعزلون فى مستعمرات خاصة لهم ، لمنع انتشار المرض [1] .

وقد أثبت العلم الحديث أن الصلاة تعد وقاية من أمراض عدة منها : مرض دوالى الساقين : حيث تبين أن الصلاة تعد عاملا مؤثرا فى الوقاية من هذا المرض ، وذلك لأوضاعها المميزة المؤدية إلى أقل ضغط واقع على الجدران الضعيفة لأوردة الساقين وتنشيط عمل المضخة الوريدية .

وقد أجريت البحوث فى هذا الصدد ، فوجدت نسبة المرضى المصابين بدوالى الساقين قد بلغت ١٠% من المصلين وكانت النسبة ٩٠% من بين غير المصلين .[2]

ثانيا : الطب العلاجى :

يقول المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ : "يا عباد الله تداووا فإن لم يضع داء إلا وضع له شفاء" ، وقد دعا إلى تعلم الطب بنص حديثه . "إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله إلا السام أى الموت".

ومن النصوص النبوية فى مجال الطب الوقائى التى تعالج الأمراض قول رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ "المعدة بيت الداء" والحمية رأس الدواء ، وأما أمراض المعدة "كسل الكبد ، قرحة المعدة ، إجهاد القلب ، وتصلب الشرايين ، والسكر".

ويقول عليه السلام :"لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فأن ربهم يطعمهم ويسقيهم".

---

[1] أنظر الطب النبوى ص ١٢٤ .

[2] الأعجاز العلمى فى الإسلام " السنة النبوية " ص ٦٩ - ٧٠ ، محمد كامل عبد الصمد .

وقد وضع سيدنا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ دستورا للعلاج تضمن أهم أسباب الشفاء عن طريق العلاج حيث قال : الشفاء فى ثلاثة " شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكيه بالنار".

وعلاج الفم والأسنان ووقايتها من الأمراض يمثل فى تنظيف الأسنان بالسواك حيث يقول عليه السلام :" تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب".

ومن الأدوية التى تعد علاجا لكل داء ووصفها المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ وأوصى بها "الحبةالسوداء". قال _ صلى الله عليه وسلم _ :" عليكم بهذه الحبة السوداء ، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السأم أى الموت ". متفق عليه فى الصحيحين .

وقد أثبتت النتائج أن الحبة السوداء لها أهمية كبرى بصفتها منشطا طبيعيا للمناعة ويمكن أن تؤدى دورا مهما فى علاج الإيدز والسرطان ، وغيرها من الأمراض التى تصاحب قصور المناعة .

كما أكدت التجارب الحديثة على الإنسان والحيوان أن للحبة السوداء تأثيرا موسعا للشعب الهوائية ، وتأثيرا مضادا للميكروبات وتأثيرا منظما لضغط الدم وتأثيرا مدرا لافراز المرارة ، وتعد علاجا للربو.

ويفيد الأطباء المختصون لأن الحبة السوداء لو أخذت بالفم بجرعة قدرها جرام مرتين لكان لها أثر منشط على وظائف المناعة وتحسن فاعلية الخلايا الطبيعية ((الإعجاز العلمى فى الإسلام٨٠-٨١))

وقال _ صلى الله عليه وسلم _ : عليكم بالشفاء بالعسل والقرآن". لقد جمع المصطفى عليه السلام فى هذا الحديث بين الطب البشرى والإلهى ، وبين طب الأبدان وطب الأرواح ، وبين الدواء الأرضى والدواء السماوى .

فالعسل غذاء مع الأغذية ، ودواء مع الأدوية وشراب مع الأشربة وحلو مع الحلو وطلاء مع الأطلية ، وكان _ صلى الله عليه وسلم _ يشربه مع الماء على الريق ، وفى ذلك سر بديع فى حفظ الصحة .

والعلم الحديث يؤيد ما جاء فى القرآن وما جاء فى الحديث النبوى الشريف . فقد أمكن الاستفادة من استخدام العسل علاجا للأمراض التى تسببها ميكروبات "التيفويد ، والدوسنتاريا ، والنزلات المعوية ، والمعدية " بعد أن أثبت علميا أن العسل به مواد تمنع الميكروبات سواء أكانت فطرية أم بكتيرية .

ويستخدم العسل لعلاج "البهاق ، وحب الشباب" بعد مزجه بالثوم، ويستخدم أيضا فى حالات صديد الأذن كما يستخدم العسل بنجاح تام لمعالجة الحروق والجروح .

وللعسل يد طولى فى معالجة أمراض الجهاز التنفسى فهو يستخدم لعلاج أمراض الرئة والزكام والأنفلونزا ، وللعسل أيضا دور كبير لشفاء أمراض الجهاز الهضمى وطرد الديدان من الأمعاء ،وتناول العسل قبل النوم يذهب الأرق ويجعل الإنسان هادئ الأعصاب .

وتناول العسل يساعد الذين يشكون من الصداع النصفى على الشفاء والتخلص من الآلام فى مدة وجيزة . وقال _ صلى الله عليه وسلم _ من لعق ثلاث غدوات كل شهر ، لم يصبه عظيم البلاء " أى من شرب العسل ثلاث مرات كل شهر لم يصبه مرض ، ولم يلحقه بلاء (صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله) .

ثالثا : الطب النفسى :

يمكن علاج النفس فى عدة مظاهر دعا إليها رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ ومنها :

١- الاعتدال وعدم الإسراف ، لأن الإسراف وعدم القصد فى الأمور الحياتية يسبب القلق والاضطراب النفسى . ويقول عليه السلام :" كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا خيلاء ".

٢- الرفق ، يقول عليه السلام :" إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ، ولا ينزع من شئ إلا شانه".

٣- النهى عن الغضب : إن الإحصاءات تشير إلى أن معظم مرضى القلب والشرايين ، بل غالبية الموتى بهذه الأمراض يعد الغضب هو

السبب المباشر فيما أصابهم والرسول _ صلى الله عليه وسلم _ يقول :" لا تغضب" ، ويقول :"ما فى جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله".

ومن آثار المصطفى _ صلى الله عليه وسلم _ فى معالجة الطب النفسى : علاجه الكرب والهم والغم والحزن . فعن ابن عباس عن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ أنه قال :"من كثرت همومه وغمومه ، فليكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله)". وثبت فى الصحيحين : أنهما كنز من كنوز الجنة .

وفى سنن أبى داوود ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ :"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم مخرجا ، ومن كل ضيق فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب".

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ كان يقول عند الكرب :"لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ، ورب الأرض ، رب القرآن الكريم".

وفى مسند الأمام أحمد عن ابن مسعود عن النبى _صلى الله عليه وسلم_ قال :" ما أصاب عبدا هم ولا حزن ، فقال : اللهم إنى عبدك.. ابن عبدك.. وابن امتك.. ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضائك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو أستأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى ، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا"[1].

والأدوية التى تعالج النفوس وتعالج أمراض الهم والغم والحزن.. تتضمن خمسة عشر نوعا من الدواء ، فإن لن تقو على

---

[1] الطب النبوى ، ص ١٦٢ – ١٦٤ .

إذهاب داء الهم والغم والحزن ، فهو داء قد استحكم وتمكنت أســـبابه ، ويحتاج إلى علاج عضوى من العلاج النفسى ، والادوية هى :

١- توحيد الربوبية .

٢- توحيد الألوهية .

٣- التوحيد العلمى الاعتقادى .

٤- تنزيه الرب عن أن يظلم عبده ، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك .

٥- اعتراف العبد بأنه هو الظالم .

٦- التوسل إلى الرب تعالى بأحب الأشياء إليه ، وهو أسماؤه وصفاته ، ومن أجمعها لمعانى الأسماء والصفات "الحى القيوم".

٧- الاستعانة به وحده .

٨- إقرار العبد له بالرجاء .

٩- تحقيق التوكل عليه ، والتفويض إليه ، والاعتراف له بأن ناصيتـــه فى يده ، ويصرفه كيف يشاء ، وأنه ماض فيه حكمه ، عـــدل فيـــه قضاؤه .

١٠- أن يرتع قلبه فى رياض القرآن ويجعلــــه لقلبـــه كـــالربيع ، وأن يستضئ به فى ظلمات الشبهات والشهوات ، وأن يتسلى به عن كل فائت ، ويتعزى به عن كل مصيبة ، ويستشفى به من أدواء صـــدره ليكون جلاء حزنه ، وشفاء همه وغمه .

١١- الاستغفار .

١٢- التوبة .

١٣- الجهاد .

١٤- الصلاة .

١٥- البراءة من من الحول والقوة وتعويضها إلى من هما بيده[١] .

---

[١] الطب النبوى ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

• اللهم أجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء صدورنا وذهاب غمنـــا وهمنا. **قال تعالى** : (**لقد** جاءكم رسول من **أنفسكم** عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) . وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

تم بحمد الله

* القرآن الكريم .
١- الأحاديث القدسية ، جـ١،٢ دار الفكر العربى "بدون تاريخ ولا مؤلف" .
٢- الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، د/ صابر عبدالدايم ، دار الأرقم ، الزقازيق ١٩٩٠ ط / أولى .
٣- أدب الحديث النبوى ، د/ بكرى شيخ آمين . دار الشروق ط/٤ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٤- البيان النبوى ، د/ محمد رجب البيومى _ دار الوفاء بالمنصورة ط/أولى سنة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٥- البيان والتبيين / للجاحظ تحقيق "عبد السلام هارون" مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط/ الرابعة ١٩٧٥م .
٦- تاريخ آداب العرب جـ٢ ، أ. مصطفى صادق الرافعى _ دار الكتاب العربى اللبنانى بيروت _ لبنان ط/الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤.
٧- التجربة الابداعية فى ضوئ النقد الحديث ، د. صابر عبد الدايم _ مكتبة الخانجى بالقاهرة _ ط / أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
٨- جمهرة خطب العرب جـ١ تأليف : أحمد زكى صفوت ، ألف فى ربيع الأول ١٣٥٢هـ / يوليو ١٩٣٣م _ دار الباز للنشر والتوزيع _ مكة المكرمة "بدون تاريخ طباعة" .
٩- حياة محمد ، د/ محمد حسين هيكل ، دار المعارف بالقاهرة ، ط/١٢٤ / ١٩٧٧م .
١٠- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجى ، ط١ ، دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان ، مكتبة الباز بمكة المكرمة .
١١- السنة النبوية فى مواجهة التحدى ، د/ أحمد عمر هاشم _ مجمع البحوث الإسلامية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .
١٢- السيرة النبوية فى مفهوم القاضى عياض ، د/ حمد جمال العمرى_ دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٨م .

١٣- السيرة النبوية لابن هاشم ، ت.د. محمد فهمى السـرجانى جـ١ المكتبة التوفيقية .
١٤- شرح = الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للإمام + الملا " علـى القارى" دار الكتب العلمية _ بيروت / لبنان ١٤٠٩هـ _ ١٩٨٨م.
١٥- صحيح البخارى جـ١ للإمام البخارى .
١٦- صحيح مسلم ، جـ١ للإمام مسلم .
١٧- الصورة الأدبية ، د. على على صبح ، دار إحياء الكتب العربية / عيسى البابى الحلى "بدون" .
١٨- الطب النبوى _ ابن قيم الجوزية _ المكتبـة التوفيقيـة بالقـاهرة ١٩٨٣م .
١٩- الظاهرة الجمالية فى الإسلام ، صالح أحمد الشـامى _ المكتـب الإسلامى _ بيروت لبنان _ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
٢٠- العصر الإسلامى د. شوقى ضيف ، دار المعـارف بمصـر ط/٦ بدون تاريخ .
٢١- العصر العباسى الثانى ، د. شوقى ضيف ، دار المعارف بمصـر ط/٢سنة ١٩٧٥م .
٢٢- غريب الحديث لأبى سليمان الخـاطبى البسـتى د. عبـد الكريـم العزباوى جـ١،٢،٣مركـز البحـث العلمـى بمكـة المكرمـة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٢٣- غريب الحديث للإمام أبى إسحاق إبراهيم بن إسـحاق الحربـى _ أجزاء _ مركز البحث العلمى بمكة المكرمة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢٤- فقـه السـيرة د. محمـد سـعيد رمضـان البوطـى ط/٧ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٢٥- القصص فى الحديث النبوى ، د. محمد بن حسن الزير ، دراسـة فنية وموضوعية _ دار العدنى للنشر والتوزيع _ جدة _ السـعودية ط/٣ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
٢٦- ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد _ صلى الله عليـه وسـلم _ "أحمد ديدات" .

٢٧- المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث , للأمام الحافظ أبـــى موسى محمد بن أبى بكر المدينى الأصفهانى ، تحقيق / عبد الكريم العزباوى جـــ١ _ مركــز البحــث العلمـــى بجامعـــة أم القـــرى ١٤٠٦هــ/١٩٨٦م .
٢٨- المجازات النبوية للشريف الرضى _ تقديم : طه عبد الرءوف سعد _ مطبعة الحلبى بمصر ١٩٧١م .
٢٩- محمد _ صلى الله عليه وسلم _ المثل الأعلى ، توماس كارليل _ عربه : محمد السباعى ، مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤١٣هــ/١٩٩٣م.
٣٠- محمد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ الشيخ محمـــد متولـــى الشعراوى ، مؤسسة أخبار اليوم "كتاب اليوم" العدد ٣٠٠ ربيع الأول ١٤١٠هــ/١٩٨٩م .
٣١- مطلع النور _ عباس محمود العقاد "المجلد السابع مـــن الأعمـــال الكاملة" _ دار الكتاب اللبنانى _ بيروت .
٣٢- من أسرار البيان النبوى ، د. أحمد محمد علـــى _ دار الصحـــوة للنشر بالقاهرة سنة ١٤٠٦هــ/١٩٨٥م .
٣٣- المنهل العذب الفرات فى شرح الأحاديث الأمـــهات (٩)أجــزاء ، د.عبد العـــال أحمـــد عبـــد العـــال ، مكتبـــة الكليـــات الأزهريـــة ١٤٠٩هــ/١٩٧٩م .
٣٤- النقد الأدبى الحديث ، د. محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصـــر للطبع والنشر ، الفجالة _ القاهرة ١٩٧٩م .
٣٥- الواقعية الإسلامية فى الأدب والنقد ، د. أحمد سامى .
٣٦- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بـــن عبـــد العزيـــز الجرجانى ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٨٦هــ/١٩٦٦م.

فهرس الموضوعات

كتب أخرى للمؤلف

أولا : دراسات أدبية ونقدية :

١- مقالات وبحوث فى الأدب المعاصر _ دار المعارف _ القاهرة ١٩٨٢م .

٢- الأدب الصوفى ، واتجاهاته وخصائصه ، دار المعارف _ القاهرة ١٩٨٤ م .

٣- محمود حسن إسماعيل بين اللأصالة والمعاصرة _ دار المعارف _ القاهرة ١٩٨٤م .

٤- فن كتابة البحث الأدبى والمقال ، بالاشتراك مع د. محمد داود _ مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٨٤ م .

٥- من القيم الإسلامية فى الأدب العربى ، مطابع جامعة الزقازيق ١٩٨٨ م .

٦- التجربة الإبداعية فى ضوء النقد الأدبى الحديث ، نشر بمكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٨٩ م .

٧- الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق _ دار الأرقم بالزقازيق ١٩٩٠م .

٨- الأدب المقارن _ مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٩٠ م .

٩- موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور _ مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٩٢م .

١٠- تاج المدائح النبوية "لكعب بن زهير" دار هديل للطبع والنشر _ الزقازيق ، ١٩٩٣م .

١١- أدب المهجر _ دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٩٤م .

١٢- ديوان الإمام الشيخ "محمد متولى الشعراوى" جمع وتحقيق ودراسة فنية _ دار هديل للطبع والنشر بالزقازيق ١٤١٩هـ/١٩١٩م .

ثانيا : دواوين شعرية :

١- نبضات قلبين _ بالإشتراك مع الشاعر الراحل عبد العزيز عبد الدايم، القاهرة ١٩٦٩م.

٢- المسافر فى سنبلات الزمن _ القاهرة ١٩٨٢م .

٣- الحلم والسفر والتحول _ وزارة الثقافة بمصر سلســـلة مواهــب ، ١٩٨٣م .
٤- المرايا وزهرة النار _ الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨م .
٥- العاشق والنهر _ الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٤م .
٦- مدائن الفجر _ رابطة الأدب الإسلامى العالمية ، دار البشير بعمان ١٩٩٤م .

ثالثا : كتب تحت الطبع :

١- الغمر والريح "ديوان شعر" .
٢- النبوءة "مسرحية شعرية" .
٣- "شعراء وتجارب" نحو منهج تكاملى فى النقد التطبيقى .
٤- "هاشم الرفاعى" شاعر الإسلام والعروبة" .
٥- الشعر الأموى فى ظل السياسة والعقيدة .
٦- "الدليل إلى أهدى سبيل فى علمى الخليل" .